جامعة تكريت

البَلاغَةُ العَرَبيَّةَ

كُليَّةُ التربيَّةِ الأساسيَّةِ/الشَّرقاط.

قسم اللغة العربية/ المرحلةُ الثانيَّةُ

الفصل الدراسي الثاني

إعداد:

أ.م.د. سعد جرجيس سعيد

١٤٣٦ هـ

٢٠١٥ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين، وبعد:

فبلا شك أن البلاغة العربية تعد من أهم علوم اللغة العربية، فليس لطالب اللغة العربية غنى عن مباحثها؛ إذ من خلالها يهتدي الطالب إلى جمال القول وحسن العبارة، ويستطيع ان يتذوق ما في الكلام من حلاوة، والبلاغة بطبيعة الحال لها ارتباط وثيق بعلوم اللغة العربية عموما، فعلم المعاني وعلم النحو صنوان، ومباحث النقد الأدبي ولا سيما الصورة والخيال والعاطفة وغير ذلك تقوم أساسا على مباحث علم البلاغة من تشبيه واستعارة وكناية، فضلا عن الموسيقى الشعرية التي نجد علم البديع يساهم بشكل كبير في إنتاجها للنصوص الأدبية.

ولما أوكلت إلي مهمة تدريس مادة البلاغة العربية للمرحلة الثانية من قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية/ الشرقاط، كان لزاما علي إعداد منهج يلائم المفردات المقرة، وعلى الرغم من وجود اكثر من مؤلف منهجي وغير منهجي إلا أن تلك المؤلفات على ما في أكثرها من جودة وإتقان إلا أنني وجدتُ بعضها مطولا لا يناسب المدة الزمنية:(فصل دراسي واحد) لطالب التربية الأساسية، ومنها ما كان يُكْثِرُ من الدخول في التقسيمات البلاغية التي ترهق الطالب، ومنها ما كان مختصرا اختصارا مخلا، فيعطي معلومات مجتزأة عن المباحث البلاغية، لذلك حين اعددت هذا المنهج اعتمدت على مصدرين اثنين هما: الخلاصة في علوم البلاغة للباحث علي بن نايف الشحود، وكتاب البلاغة والتطبيق للدكتورين الفاضلين: أحمد مطلوب، وكامل حسن البصير، فضلا عن بعض الإضافات والتعليقات والشواهد التي أضفناها هنا وهناك من بعض المصادر البلاغية القديمة والحديثة، غير ان هوية هذا المنهج تظل مماثلة للخلاصة في علوم البلاغة، ذلك المؤلف الذي اعد أساسا ليكون منهجا لطلاب البلاغة الجامعيين، إذ توخى صاحبه السهولة في عرض الامثلة، وتجنَّب التقسيمات التي تربك الطالب، فضلا عن ذلك نأى بنفسه عن سرد آراء وأقول العلماء في كل مبحث من المباحث، لذلك عملنا على اعتماده، ليس نصيا، وإنما أجرينا له تعديلات جمة، مما جاء متوافقا مع المفردات المقررة لطلاب كلية التربية الأساسية/ المرحلة الثانية.

طالبنا الفاضل، اعلم أن البلاغة هي روح اللغة العربية، فمن خلالها يتجلى جمالها، وبأساليبها تستطيع ان تتلمس نبض اللغة وودفئها الدائم، واعلم أن البلاغة درس لا يكشف كنوزه إلا لذي ذوق رفيع، وحس مرهف في تعامله مع اللغة، فالقاعدة البلاغية ليست هي الغاية التي نرصدها من دراستنا للبلاغة، وإنما هي مفتاح الدخول

إلى حدائق لغتك، هذه اللغة التي يزهد فيها، ويجفو عنها كل من لا يتعامل معها وفق قوانينها الجمالية، فضلا عن ذلك لا يمكننا أن نتعامل مع الأساليب البلاغية جميعا إلا بعد ان نكون قد قطعنا شوطا في معرفة اللغة، ولا سيما: المعرفة النحوية، فعلم المعاني برمته يظل بابا موصدا لمن لم يتقن القواعد الأساسية لعلم النحو.

فنسأل الله تعالى ان يستفيد طلابنا الأفاضل من هذا المنهج، وأن يكون هاديا لهم لفهم البلاغة العربية عموما، وعلم المعاني خصوصا، فالحياة كلمة، ولن تكون الحياة إلا تلك الكلمة البليغة التي نصل بها إلى قلوب الآخرين.

أبو الطيب سعد جرجيس ..... الشرقاط ٢٠١٦/١١/٥

علمُ البيانِ

*-**البيانُ لغةً :** الكشفُ، والإيضاحُ، والظهُّور .

واصطلاحاً: أصولٌ وقواعدُ، يعرفُ بها إيرادُ المعنَى الواحدِ، بطرقٍ يختلفُ بعضُها عن بعضٍ، في وُضوحِ الدّلالةِ العقليةِ على نفسِ ذلك المعنَى، فالمعنَى الواحدُ يُستطاعُ أداؤهُ بأساليبَ مُختلفةٍ، في وضوحِ الدّلالةِ عليه فإنكَ تقرأُ في بيانِ فضلِ العلمِ - مثلا – قولَ الشاعر:

العلمُ ينهضُ بالخسيسِ إلى العلَى والجهلُ يقعدُ بالفتَى المنسوبِ

وكقول الشاعر:

تَعَلَّمْ، فَلَيْسَ المَرْءُ يُولَدُ عالِماً ... ولَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كمَنْ هو جاهِلُ

ثمَّ تقرأُ في المعنى نفسِه،ما نسبَ للإمامِ عليٍّ رضي الله عنه:((العلمُ نهرٌ، والحكمةُ بحرٌ، والعلماءُ حولَ النهّرَ يطوفونَ، والحكماءُ وسطَ البحرِ يغوصونَ، والعارفونَ في سفنِ النّجاةِ يسيرونَ)).

فتجدُ أنَّ بعضَ هذه التراكيبَ أوضحُ من بعضٍ، كما تراه يضعُ أمام عينيكَ مشهداً حسياً، يقرَّبُ إلى فهمك ما يُريدُ الكلام عنه من فضلِ العلمِ.

فهو: يشبِّهُ بنهرٍ، ويشبِّهُ الحكمةَ ببحرٍ. ويصورُ لك أشخاصاً طائفين حول ذلك النهرِ هم العلماءُ. ويصورُ لك أشخاصاً غائصينَ وسطَ ذلك البحرِ هم الحكماءُ. ويصورُ لك أشخاصاً راكبين سفناً ماخرةً في ذلك البحرِ للنجاةِ من مخاطرِ هذا العالمِ هم أربابُ المعرفةِ.

ولا شكَّ أنَّ هذا المشهدَ البديعَ يستوقفُ نظركَ، ويستثيرُ إعجابكَ من شدَّةِ الرَّوعةِ والجمالِ المُستمدَّةِ من التشبيهِ، بفضل البيانِ الذي هو سرُّ البلاغةِ.

- **وموضوع هذا العلمِ**: الألفاظُ العربيةُ، من حيثُ التشبيهُ، والمجازُ، والكنايةُ.

- و**واضعُهُ**: أبو عبيدةَ الذي دَوّنَ مسائلَ هذا العلمِ في كتابهِ المُسمَّى **مجازَ القرآنِ**، وما زال ينمو شيئاً فشيئاً، حتى وصلَ إلى **عبد القاهر الجرجانيّ** فأحكمَ أساسَهُ، وشيَّدَ بناءَه، ورتَّبَ قواعدَهُ، وتبعَهُ الجاحظُ، وابنُ المعتزّ وقُدَامةُ بن جعفر وأبو هلالٍ العسكريّ.

- **وثمرتُهُ**: الوقوفُ على أسرارِ كلامِ العربِ منثورِه ومنظومِه، ومعرفةُ ما فيه من تفاوتٍ في فنونِ الفصاحةِ، وتبايُنٍ في درجاتِ البلاغةِ التي يصلُ بها إلى مرتبةِ

إعجازِ القرآنِ الكريمِ، الذي حارَ الجنُّ والإنسُ في مُحاكاتهِ وعجزوا عن الإتيانِ بمثلِهِ.

وفي هذا الفنِّ أبوابٌ ومباحثُ.

الفصلُ الأولُ - في التشبيهِ

-تمهيدٌ:

للتّشبيهِ روعةٌ وجمالٌ، وموقعٌ حسنٌ في البلاغةِ، وذلكَ لإخراجهِ الخفيَّ إلى الجليّ، وإدنائهِ البعيدَ منَ القريبِ، يزيدُ المعاني رفعةً ووضوحاً، ويكسبُها جمالاً وفضلاً، ويكسوها شرفاً ونُبلاً، فهو فنٌّ واسعُ النطاقِ، فسيحُ الخطوِ، ممتدُ الحواشي، مُتَشعبُ الأطرافِ، مُتوعرُ المسلكِ، غامضُ المدركِ، دقيقُ المجرَى ،غزيرُ الجدَوى.

ومنْ أساليبِ البيانِ أنكَ إذا أردتَ إثباتَ صفةٍ لموصوفٍ، مع التوضيحِ، أو وجهٍ من المبالغةِ، عمدتَ إلى شيءٍ آخرَ، تكونُ هذه الصفةُ واضحةً فيه، وعقدتَ بين الاثنينِ مماثلةً، تجعلُها وسيلةً لتوضيحِ الصفةِ، أو المبالغةِ في إثباتها ، لهذا كان التشبيهُ أولَ طريقةٍ تدلُّ عليهِ الطبيعةُ لبيانِ المعنَى.

***-تعريفُ التشبيهِ :**

التشبيهُ: لغةً التمثيل ، قالَ: هذا شبهُ هذا ومثيلُه .

والتشبيهُ اصطلاحاً: عقدُ مماثلةٍ بينَ أمرينِ أو أكثرَ، قصِدَ اشتراكهُما في صفةٍ أو أكثرَ، بأداةٍ لغرضٍ يقصُدهُ المتكلِّمُ للعلمِ، قال بشار بن بُرْد:

كأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تَهاوى كواكِبُهْ

وأركانُ التشبيهِ أربعةٌ:

(١)- **المُشبَّهُ**: هو الأمرُ الذي يُرادُ إلحاقَهُ بغيرِهِ.

(٢)- **المُشبَّهُ به**: هو الأمرُ الذي يُلحَقُ بهِ المشبَّهُ، وهذانِ الركنانِ يسميانِ طرفي التشبيهِ.

(٣)- **وجهُ الشبهِ**: هو الوصفُ المشترَكُ بينَ الطرفينِ، ويكونُ في المشبَّهِ به أقوَى منهُ في المشبَّهِ ، وقد يُذكرُ وجهُ الشَّبهِ في الكلامِ، وقد يُحذَفُ كما سيأتي توضيحُه.

(٤)- **أداةُ التَّشبيهِ**: هي اللفظُ الذي يدلُّ على التشبيهِ، ويربطُ المشبَّهَ بالمشبَّهِ بهِ، وقد تُذكرُ الأداةُ في التشبيهِ، نحو: كان عمرُ في رعيَّتهِ كالميزانِ في العدلِ، وكان فيهم كالوالدِ في الرحمةِ والعطفِ.

وقدْ تحذفُ الأداةُ، نحو: خالدٌ أسدٌ في الشجاعةِ.

المبحثُ الأولُ - في تقسيمِ طرفي التشبيهِ إلى حِسيٍّ وعقليٍّ:

طرفا التشبيهِ، المشبَّهُ والمشبَّهُ به.

إمَّا **حسيَّانِ**، أي مدركانِ بإحدى الحواسِّ الخمسِ الظاهرةِ، نحو: أنتَ كالشمسِ في الضياءِ.

وإمَّا **عقليانِ**، أيْ مدركانِ بالعقلِ، نحو: العلمُ كالحياةِ، ونحو: الضلالُ عن الحقِّ كالعمَى ونحو: الجهلُ كالموتِ.

وإمَّا **مختلفانِ** ، بأنْ يكونَ المشبَّهُ حسيٌّ، والمشبَّهُ بهِ عقليٌّ، نحو: طبيبُ السوءِ كالموتِ، أو بأنْ يكونَ المشبَّهُ عقليٌّ والمشبَّهُ به حسيٌّ، نحو : العلمُ كالنورِ.

واعلمْ أنَّ العقليَّ هو ما عدا الحسيِّ، فيشملُ المدركُ ذهناً: كالرأيِ، والخلقِ، والحظِّ، والأملِ، والعلمِ، والذكاءِ، والشجاعةِ.

ويشملُ أيضاً الوهميَّ، وهو ما لا وجودَ لهُ، ولا لأجزائهِ كلِّها، أو بعضِها في الخارجِ، ولو وُجدَ لكانَ مدركاً بإحدَى الحواسِّ.

ويشملُ الوجدانيَّ: وهو ما يدركُ بالقوى الباطنةِ، كالغمِّ، والفرحِ، والشبعِ، والجوعِ، والعطشِ، والريِّ.

فالحسيانِ يشتركانِ في الأمور الآتية:

١ ـ في صفةٍ مبصرةٍ، كتشبيهِ المرأةِ بالنهارِ في الإشراقِ، والشَّعرِ بالليلِ في الظلمةِ والسوادِ، كما في قولِ الشاعر:

فرعاءُ تسحبُ من قيامٍ شعرَها وتغيبُ فيهِ وهو ليلٌ أسحمُ

فكأنها فيه نهارٌ مشرقٌ وكأنه ليلٌ عليها مظلِمُ

٢ ـ أو في صفةٍ مسموعةٍ، نحو: غرَّدَ تغريدَ الطيورِ، ونحو: سجعَ سجعَ القمريِّ، ونحو: أنَّ أنينَ الثكلَى، ونحو: أسمعُ دويًّا كدويِّ النحلِ، وكتشبيهِ إنقاض الرحلِ بصوتِ الفراريجِ في قول الشاعر:

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مِنْ إِيغَالِهِنَّ بِنَا أَوَاخِرِ الْمَيْسِ إِنْقَاضُ الْفَرَارِيجِ

وكتشبيهِ الأصواتِ الحسنةِ في قراءة القرآن الكريمِ بالمزاميرِ.

٣ـ أو في صفةٍ مذوقةٍ، كتشبيهِ الفواكهِ الحلوةِ بالعسلِ

٤ ـ أو في صفةٍ ملموسةٍ، كتشبيهِ الجسمِ بالحريرِ، كما في قول ذي الرمة:

لها بَشَرٌ مثلُ الحَريرِ ومَنْطِقٌ ... رَخِيمُ الحَوَاشِي لا هُرَاءٌ ولا نَزْرُ

أو في صفةٍ مشمومةٍ، كتشبيهِ الريحان بالمسكِ، والنكهةِ بالعنبرِ.

المبحثُ الثاني ـ في تقسيم طرفي التشبيه: باعتبار تعددهما

ينقسِمُ طرفا التشبيهِ، المشبَّهِ والمشبَّهِ به باعتبارِ تعدُّدِهما، أو تعدُّدِ أحدهِما، إلى أربعةِ أقسامٍ: ملفوفٌ، ومفروقٌ، وتسويةٌ، وجمعٌ.

١ ـ **فالتشبيهُ الملفوفُ**: هو جمعُ كلِّ طرفٍ منهما مع مثلِه، كجمعِ المشبَّهِ مع المشبَّهِ، والمشبَّهِ به معَ المشبَّهِ به، بحيثُ يؤتَى بالمشبَّهاتِ معاً على طريقِ العطفِ، أو غيره، ثم يؤتَى بالمشبَّهات بها كذلك أو بالعكسِ ،كقول الشاعر:

ليلٌ وبدرٌ وغصنٌ شعرٌ ووجهٌ وقدٌّ

خمرٌ ودرٌّ و وردٌ ريقٌ وثغرٌ وخدٌّ

وكقول البحتريّ:

تَبَسّمٌ، وَقُطوبٌ، في نَدًى وَوَغًى كالبرْقِ وَالرّعدِ وَسطَ العارِض البرِدِ

وكقول الشعر:

وضوء الشهب فوق الليل بادٍ كأطراف الأسنة في الدروعِ

فإنَّ المشابهةَ بين الكواكبِ والأزهارِ لا تغيبُ عن كثيرٍ من الناس، أما التشابهُ بين النجومِ وبين أطرافِ الأسنَّةِ اللامعةِ عند نفوذِها في الدروعِ لا يحومُ عليه إلا خيالٌ بارعٌ .

٢ - **والتشبيهُ المفروقُ**: هو جمعُ كلِّ مشبَّهٍ مع ما شُبِّهَ به، كقول الشاعر:

النَّشْرُ: مِسْكٌ والوُجُوهُ دَنَا ... نِيرُ وأَطْرَافُ البَنَانِ عَنَمْ

٣ - **وتشبيهُ التسويةِ**: هو أن يتعددَ المشبَّهُ دون المشبَّهِ به ،كقول الشاعر:

صُدْغُ الحَبيبِ وحالِي ... كِلاهُمَا كاللَّيَالي

وثغرهُ في صفاءٍ ... وأدمعي كاللآلي

سميَ بذلك: للتسويةِ فيه بين المشبَّهاتِ.

٤ - **والتشبيهُ الجمعُ**: هو أن يتعددَ المشبَّهُ به دون المشبَّهِ، كقول البحتريّ:

كأنما يبسمُ عن لؤلؤٍ ... مُنَضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ

سميَ بتشبيهِ الجمعِ للجمعِ فيه بين ثلاثِ مشبَّهاتٍ به ،وكقول الشاعر:

بدَا ورَنَتْ لواحظُهُ دلالاً ... فما أَبهى الغَزالَةَ والغَزَالا

المبحث الثالث- في تقسيمِ التشبيهِ باعتبارِ وَجهِ الشَّبهِ

وجهُ الشبهِ: هو الوصفُ الخاصُّ الذي يقصَدُ اشتراكُ الطرفين فيه، كالكرم في نحو: خليلٌ كحَاتِم، ونحو: له سيرةٌ كالمسكِ، وأخلاقُه كالعنبرِ.

واشتراكُ الطرفينِ قد يكون ادِّعائياً بتنزيلِ التضادِّ منزلةَ التناسبِ، وإبرازِ الخسيسِ في صورةِ الشريفِ تهكُّماً أو تمليحاً، ويظهرُ ذلك مِنَ المقامِ.

وينقسمُ التشبيهُ باعتبارِ وجهِ الشبَّهِ إلى:

١ - **تشبيهُ تمثيلٍ**: وهو ما كان وجهُ الشبَّهِ فيه وصفاً منتزَعاً من متعددٍ، حسّياً كان أو غيرَ حسّيٍّ، كقول الشاعر لبيد:

وما المَرْءُ إلاَ كالشِّهَابِ وضَوئه ... يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إذْ هُوَ ساطِعُ

فوجهُ الشبَّهِ سرعةُ الفناءِ انتزعَهُ الشاعرُ من أحوالِ القمرِ المتعددةِ، إذ يبدو هلالاً، فيصيرُ بدراً، ثم ينقصُ، حتى يدركَه المحَاقُ. ويسمَّى تشبيه التمثيل.

٢ -**تشبيهٌ غيرُ تمثيلٍ**: وهو ما لم يكنْ وجهُ الشبَّهِ فيه صورةً منتزعةً من متعددٍ، نحو: وجهُه كالبدرِ، ومثل قول الشاعر:

لا تَطْلُبَنَّ بآلة لَكَ حاجةً ... قَلَمُ البليغ بغيْر حظٍّ مِغْزَلُ

فوجهُ الشبَّهِ قلةُ الفائدةِ، وليسَ منتزعاً من متعددٍ.

٣ - **مفصَّلٌ**: وهو ما ذكر فيه وجهُ الشبَّهِ، أو ملزومُهُ، نحو: طبعُ فريدٍ كالنسيمِ رقَّةً، ويدُهُ كالبحرِ جوداً، وكلامُه كالدرِّ حسناً، وألفاظُهُ كالعسلِ حلاوةً، ومثل قول الشاعر:

يا شبيهَ البدرِ حُسْناً ... وضياءً ومنالا

وشبيهَ الغُصنِ ليناً ... وقواماً واعتدالا

٤ -**مجمَلٌ:** وهو مالا يذكَرُ فيهِ وجهُ الشبَّهِ، ولا ما يستلزمُه، نحو: النحوُ في الكلامِ كالملحِ في الطعامِ.

فوجهُ الشبَّهِ هو الإصلاحُ في كلٍّ، ومثل قول الشاعر:

إنما الدنيا بلاءٌ ... ليس للدينا ثبوتُ

إنما الدنيا كبيتٍ ... نسجتُه العنكبوتُ

إنما يكفيكَ منها ... أيها الراغبُ قوتُ

واعلمْ أنَّ وجهَ الشبَّهِ المجملِ: إمَّا أنْ يكونَ خفيًّا، وإمَّا أنْ يكونَ ظاهراً، ومنه ما وصِفَ فيه أحدُ الطرفينِ أو كلاهُما بوصفٍ يشعرُ بوجهِ الشبَّهِ، ومنه ما ليسَ كذلك.

٥ -**قريبٌ مبتذَلٌ**: وهو ما كان ظاهرُ الوجهِ يَنتقلُ فيه الذهنُ من المشبَّهِ إلى المشبَّهِ به، من غيرِ احتياجٍ إلى شدةِ نظرٍ وتأملٍ، لظهورِ وجهِه بادئَ الرأيِ، وذلك لكونِ وجهُهُ لا تفصيلَ فيهِ: كتشبيهِ الخدِّ بالوردِ في الحمرةِ، أو لكونِ وجهُهُ قليلَ التفصيلِ، كتشبيهِ الوجهِ بالبدرِ في الإشراق أو الاستدارةِ، أو العيونِ بالنرجسِ.

وقد يتصرَّفُ في القريبِ بما يخرجُه عن ابتذالهِ إلى الغرابةِ، كقول الشاعر:

لم تَلْقَ هَذا الوَجْهَ شَمسُ نَهارِنَا إلاّ بوَجْهٍ لَيسَ فيهِ حَيَاءُ

فإنَّ تشبيهَ الوجهِ الحسنِ، بالشَّمسِ: مبتذلٌ، ولكنَّ حديثَ الحياءِ أخرجه إلى الغرابةِ.

وقد يخرجُ وجهُ الشبَّهِ من الابتذالِ إلى الغرابةِ، وذلك بالجمعِ بين عدةِ تشبيهاتٍ، كقول الشاعر:

كأنما يبسمُ عن لؤلؤٍ ... مُنَضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ

أو باستعمالِ شرطٍ، كقول الشاعر:

عَزَماتهُ مِثْلُ النُّجُوم ثَواقِباً ... لو لم يكن للثَّاقِبَاتِ أفُولُ

٦ - **بعيدٌ غريبٌ**: وهو ما احتاجَ في الانتقالِ من المشبَّهِ إلى المشبَّهِ به، إلى فكرٍ وتدقيقِ نظرٍ، لخفاءِ وجهِه بادئَ الرأي ، كقول ابن المعتزّ:

والشَّمْسُ كالمِرْآة في كَفِّ الأَشَلّْ مُقَلدَّاتِ القِدِّ يَقْرُونَ الدَّغَلْ

فإنَّ الوجهَ فيه: هو الهيئةُ الحاصلةُ من الاستدارةِ مع الإشراقِ، والحركةُ السريعةُ المتصلةُ مع تموّج الإشراقِ، حتى ترى الشعاعَ كأنه يهمُّ بأنْ ينبسطَ حتى يفيضَ من جوانبِ الدائرةِ؛ ثم يبدو له فيرجعُ إلى الانقباضِ.

وحكمُ وجهِ الشبهِ أنْ يكونَ في المشبَّهِ به أقوى منهُ في المشبَّهِ، وإلا فلا فائدةَ في التشبيهِ.

المبحثُ الرابع- في التشبيه التمثيليّ

*-**تشبيهُ التمثيلِ**: أبلغُ من غيره، لما في وجههِ من التفصيلِ الذي يحتاجُ إلى إمعانِ فكرٍ، وتدقيقِ نظرٍ، وهو أعظمُ أثراً في المعاني: يرفعُ قدرها، ويضاعفُ قواها في تحريكِ النفوس لها، فإنْ كان مدحاً كان أوقعَ، أو ذمًّا كان أوجعَ، أو بُرهانا كان أسطعَ، ومن ثَمَّ يحتاجُ إلى كدِّ الذهنِ في فهمِه، لاستخراجِ الصورةِ المنتزعَة من أمورٍ متعدِّدةٍ، حسّيةٍ كانتْ أو غيرَ حسّيةٍ، لتكوّنَ (وجهَ الشبهِ) – كقول الشاعر:

ولاحتِ الشمسُ تحكي عند مطلعِها مرآةَ تبرٍ بدتْ في كفِّ مرتعِشِ

فمثّلَ الشمسَ حين تطلُع حمراءً لامعةً مضطربةً، بمرآةٍ من ذهبٍ تضطربُ في كفِّ ترتعِشُ.

وتشبيهُ التمثيلِ نوعانِ:

الأولُ- ما كانَ ظاهرَ الأداةِ، نحو قوله تعالى:((**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**))[الجمعة/٥]، فالمشبَّهُ: همُ الذين حُمّلوا التوراةَ ولم يعقلوا ما بها: والمشبَّهُ به (الحمارُ) الذي يحملُ الكتبَ النافعةَ، دونَ استفادتهِ منها، والأداةُ الكافُ، ووجهُ الشبَّهِ (الهيئةُ الحاصلةُ منَ التعبِ في حملِ النافعِ دونَ فائدةٍ.

الثاني- ما كانَ خفيَّ الأداةِ: كقولكَ للذي يتردّدُ في الشيء بينَ أن يفعلَهُ، وألاّ يفعلَهُ (أراكَ تقدِّمُ رِجلاً وتُؤخِّرُ أخرَى) ، إذِ الأصلُ أراكَ في ترددكَ مثلَ مَنْ يقدِّمُ رجلاً مرةً، ثم يؤخّرُها مرةً أخرى، فالأداةُ محذوفةٌ، ووجهُ الشبهِ هيئةُ الإقدامِ والإحجامِ المصحوبينِ بالشَكَّ.

المبحثُ الخامس – في أدوات التشبيه

*-**أدواتُ التشبيهِ**: هي ألفاظٌ تدلُّ على المماثلةِ وهي مؤلفة من حرفِ واسمِ وفعلِ:

الحرفُ وهو: الكافُ وكأنَّ

الاسمُ :كمثلِ ومثيلِ وشبهِ وشبيهِ وغيرِهما

الفعلُ كـ: يحكي، ويضاهي ،ويضارع، ويماثل ،ويساوي، ويشابه، وكذا أسماءُ فاعلها.

وهي إمَّا ملفوظةٌ، وإمَّا ملحوظةٌ، نحو جمالُه كالبدرِ، وأخلاقُه في الرقةِ كالنَّسيمِ، ونحو اندفعَ الجيشُ اندفاعَ السيلِ، أي كاندفاعِه.

الأصلُ في الكافِ، ومثلُ، وشبهُ، من الأسماءِ المضافة لما بعدها أن يليها المشبَّهُ بـه لفظاً أو تقديراً، نحو قوله تعالى:((**وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ**))[سورة الواقعة/٢٢-٢٣]، ونحو قوله تعالى:((**وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**))[سورة الرحمن/٢٤]، وكقول الشاعر:

فَالوَجهُ مثل الصُبحِ مبيضٌ والفَرعُ مِثلَ اللَيلِ مُسوَدُّ

ضِدّانِ لِما اسْتُجْمِعا حَسُنا وَالضِدُّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِدُّ

والأصلُ في كأنَّ، وشابهَ، وماثلَ، وما يرادفها، أنْ يليه المشبَّهُ، نحو قوله تعالى:((**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ**))[سورة الطور/٢٤]، وقوله تعالى((**تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ**))[سورة القمر/٢٠] . وقوله تعالى:((**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ**))[سورة المدثر/٥٠] ، وقوله تعالى:((**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ**))[سورة الصافات/٦٥]، و مثل قول الشاعر :

كأنَّ الثُرَيَّا راحَةٌ تشْبرُ الدُّجى لتعلمَ طالَ اللَّيلُ لي أَم تعرَّضا

وكأنّ تفيدُ التشبيهَ إذا كانَ خبرُها جامداً، نحو: كأنَّ البحرَ مرآةٌ صافيةٌ.

وتفيد الشكَّ إذا كان خبرُها مشتقّاً، نحو: كأنكَ فاهمٌ، ومثل قول الشاعر:

كأنكَ منْ كلِّ النفوسِ مُركبٌ ... فأنتَ إلى كلِّ النفوسِ حبيبُ

وقد يغني عن أداةِ التشبيهِ فعلٌ يدلُّ على حال التشبيهِ، ولا يعْتبرُ أداةً ،فإنْ كان الفعلُ لليقين، أفادَ قربَ المشابهةِ، لما في فعلِ اليقينِ من الدلالة على تيقنِ الاتحادِ وتحققهِ، وهذا يفيد التشبيهَ مبالغةً، نحو قوله تعالى:((**فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**))[سورة الأحقاف/٢٤]، ونحو: رأيتُ الدنيا سراباً غرّاراً.

وإنْ كانَ الفعلُ للشكِّ أفادَ بُعدَها، لما في فعلِ الرجحانِ من الإشعارِ بعدمِ التحقق، وهذا يفيد التشبيهُ ضعفاً، كقوله تعالى:((**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا**))[سورة الإنسان/١٩] .

ونحو قول الشاعر:

قومٌ إذا لبسوا الدروعَ حسبْتَها سُحُباً مزرَّرةً على أقمارِ

==========

المبحث السادس ـفي تقسيم التشبيهِ باعتبار أداتهِ

ينقسمُ التشبيهُ باعتبار أداتهِ إلى:

أ ـ **التشبيهُ المرسَلُ**: هو ما ذكرِتْ فيه الأداةُ، كقول الشاعر:

إنما الدنيا كبيتٍ ... نسجتْهُ العنكبوتُ

ب ـ **التشبيهُ المؤكَّدُ**: هو ما حذفتْ منه أداته، نحو: يسجعُ سجعَ القمريّ ،وكقول الشاعر:

أَنْتَ نجْمٌ في رِفْعةٍ وضِياءٍ تجْتَليكَ الْعُيُونُ شَرْقاً وغَرْبا

ومن المؤكدِ ما أضيفَ فيه المشبَّهُ به إلى المشبَّه، كقول الشاعر:

وَالرِّيحُ تَعبَثُ بِالْغُصُونِ، وقَدْ جَرَى ... ذَهَبُ الأَصيلِ عَلى لُجَيْنِ الْمَاءِ

أي أصيلٌ كالذهبِ على ماءٍ كاللجَين.

والمؤكَّدُ أوجزُ، وأبلغ، وأشدُّ وقعاً في النفس. أما أنه أوجز فلحذف أداته، وأما أنه أبلغ فلإيهامه أن المشبه عين المشبَّهِ به.

ج-**التشبيهُ البليغُ** :هو ما حُذفتْ فيه أداةُ التشبيهِ ووجهُ الشبَّهِ، نحو قوله تعالى:((**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**))[البقرة/١٨٧] وكقول الشاعر:

فاقضُوا مآربَكُم عِجالاً إنما أعمارُكم سفَرٌ من َالأسفارِ

ونحو قول الشاعر:

عزماتهُم قُضُبٌ، وفيضُ أكفهم ... سحبٌ، وَبِيضُ وجوههم أقمارُ

والتشبيهُ البليغُ ما بلغَ درجةَ القبولِ لحسنهِ،أو الطيِّبَ الحسنِ، فكلما كانَ وجهُ الشبهِ قليلَ الظهور، يحتاجُ في إدراكهِ إلى إعمالِ الفكر كانَ ذلك أفعلَ في النفسِ وأدعَى إلى تأثُّرِها واهتزازِها، لما هو مركوزٌ في الطبعِ، منْ أنَّ الشيءَ إذا نيلَ بعدَ الطلبِ له، والاشتياقِ إليه، ومعاناةِ الحنينِ نحوَه كان نيلُه أحلَى، وموقعُه في النفس أجلَّ و ألطفَ، وكانتْ به أضنَّ وأشغفَ، وما أشبهَ هذا الضربُ من المعاني، بالجوهر في الصَّدفِ، لا يبرزُ إلا أنْ تشقَّهُ.

وسببُ هذه التسميةِ أنَّ ذكرَ الطرفينِ فقط، يوهمُ اتحادَهما، وعدمَ تفاضلِهما، فيعلو المشبَّهُ إلى مستوى المشبَّهِ به، وهذه هي المبالغةُ في قوةِ التشبيهِ.

المبحثُ السابع ـ تشبيهٌ على غيرِ طرقهِ الأصليَّةِ

أولاً-التشبيهُ الضمنيُّ:

هو تشبيهٌ لا يوضعُ فيه المشبَّهُ والمشبَّهُ به في صورةٍ من صورِ التشبيهِ المعروفةِ، بل يلمحُ المشبَّهُ والمشبَّهُ به، ويفهمانِ من المعنَى، ويكونُ المشبَّهُ به دائماً برهاناً على إمكانِ ما أُسندَ إلى المشبّه، كقول المتنبي:

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيهِ ما لجُرْحٍ بمَيّتٍ إيلامُ

أيْ أنَّ الذي اعتادَ الهوانَ، يسهلُ عليه تحمّلُه، ولا يتألمُ له، وليس هذا الادعاءُ باطلاً ،لأنَّ الميتَ إذا جرِحَ لا يتألمُ، وفي ذلك تلميحٌ بالتشبيهِ في غيرِ صراحةٍ، وليس على صورةٍ من صورِ التشبيهِ المعروفة، بل إنه (تشابهٌ) يقتضي التَّساوي، وأمَّا (التشبيهُ) فيقتضي التفاوتَ.

وكقول أبي فراس الحمداني:

سَيذْكُرني قَوْمي إذا جدّ جِدُّهمْ ... ...وفي اللَّيْلَة الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْر

ثانياً-التشبيهُ المقلوبُ:

التشبيهُ المقلوبُ : هو جعلُ المشبَّهِ مشبَّهاً به بادِّعاءِ أنَّ وجهَ الشبَّهِ فيه أَقوَى وأَظهرُ. ويسمَّى ذلك بالتشبيهِ المقلوبِ أو المعكوسِ، نحو: كأنَّ ضوءَ النهارِ جبينُهُ، ونحو:كأنَّ نشرَ الروضِ حسنُ سيرتِه، ونحو: كأنَّ الماءَ في الصفاءِ طباعُهُ، وكقول محمد بن وهيب الحميري:

وبَدَا الصَّباحُ كأنَّ غرَّتَهُ ... ...وَجْهُ الخَليفةِ حِينَ يُمْتَدَحُ

شبَّهَ غرَّةَ الصباح بوجهِ الخليفةِ، إيهاماً أنهُ أتمُّ منها في وجهِ الشَّبهِ .

وكقول حافظ إبراهيم:

أحِنُّ لَهُم ودُونَهُمُ فَلاةٌ ... ...كأنَّ فَسِيحَها صدْرُ الحَليمِ

شُبِّهتِ الفلاةُ بصدرِ الحليمِ في الاتساعِ، وهذا أَيضاً تشبيهٌ مقلوبٌ.

وهـذا التشـبيهُ مظهـرٌ مـن مظـاهرِ الافتنـانِ والإبـداعِ، كقولـه تعـالى حكايـةً عـن الكفـار:((**قَـالُواْ إِنَّمَـا الْبَيْـعُ مِثْـلُ الرِّبَـا وَأَحَـلَّ اللهُ الْبَيْـعَ وَحَـرَّمَ الرِّبَـا ..**))[سـورة البقرة/٢٧٥]، في مقامِ أنَّ الرّبا مثلُ البيعِ، عكسوا ذلك لإيهامِ أنَّ الرّبا عندهمْ أحلُّ من البيعِ، لأنَّ الغرضَ الربحُ، وهو أثبتُ وجوداً في الرّبا منه في البيعِ، فيكونُ أحقَّ بالحلِّ على حدِّ زعمِهم.

الفصلُ الثاني - في المجازِ

***-تمهيدٌ:**

المجازُ مُشتقٌّ من جازَ الشيء يَجوزُه إذا تَعَدَّاهُ ،سَمَّوا به اللّفظَ الذي نُقِلَ من معناهُ الأصلي، واستُعمِلَ ليدُلّ على معنى غيرهِ، مناسبٍ لهُ.

والمجازُ من أحسنِ الوسائل البيانيَّةِ الّتي تهدي إليها الطبيعةُ؛ لإيضاحِ المعنى، إذْ به يخرجُ المعنى متَّصِفاً بصفةٍ حِسّيةٍ، تكادُ تعرضهُ على عيانِ السَّامعِ، لهذا شغفتِ العربُ باستعمالِ المجاز لميلِها إلى الاتساعِ في الكلام، وإلى الدلالةِ على كثرةِ معاني الألفاظِ، ولما فيه من الدِّقةِ في التعبيرِ، فيحصلُ للنفس به سرورٌ وأريحيَّةٌ، ولأمرٍ مَّا كثرَ في كلامِهم، حتى أتوا فيه بكلِّ معنًى رائقٍ، وزيّنوا به خُطبَهم وأشعارَهم.

وفي هذا الباب مباحثٌ:

==========

المبحثُ الأولُ - في تعريف المجاز وأنواعه

*** تعريفُهُ** :المجازُ هو اللفظُ المستعملُ في غير ما وضعَ له في اصطلاحِ التخاطَب لعلاقةٍ، مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ المعنى الوضعيِّ.

والعلاقةُ: هي المناسبةُ بين المعنَى الحقيقيِّ والمعنى المجازيِّ، قد تكونُ (المشابهةَ) بين المعنيينِ، وقد تكونُ غيرَها، فإذا كانتِ العلاقةُ (المشابهةَ) فالمجازُ (استعارةٌ)، وإلا فهو (مجازٌ مرسلٌ)

والقرينةُ: هي المانعةُ من إرادة المعنى الحقيقيِّ، قد تكون لفظيةً، وقد تكونُ حاليةً – كما سيأتي-

وينقسمُ المجازُ: إلى أربعةِ أقسامٍ – **مجازٌ مفردٌ مرسلٌ، ومجازٌ مفردٌ بالاستعارةِ** « ويجريانِ في الكلمةِ» **ومجازٌ مركبٌ مرسلٌ، ومجازٌ مركبٌ بالاستعارةِ** « ويجريانِ في الكلامِ»

ثمّ إنّ المجازَ على قسمينِ:

١ - **لغويٌّ**، وهو استعمالُ اللفظ في غير ما وضع له لعلاقةٍ ، بمعنى مناسبةٍ بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازيّ - يكون الاستعمالُ لقرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ المعنى الحقيقيّ، وهي قد تكون لفظيّةً، وقد تكون حاليّةً، وكلّما أطلقَ المجازُ، انصرفَ إلى هذا المجازِ ، وهو المجازُ اللغويُّ. والمجازُ المرسلُ

٢ -**عقليٌّ**، وهو يجري في الإسنادِ، بمعنى أن يكونَ الإسنادُ إلى غير من هوَ لهُ، نحو: (شفَى الطبيبُ المريضَ)، فإنَّ الشفاءَ من الله تعالى، فإسنادهُ إلى الطبيبِ مجازٌ، ويتمُّ ذلك بوجودِ علاقةٍ مع قرينةٍ مانعةٍ من جريانِ الإسنادِ إلى من هوَ لهُ.فهذا المجازُ يسمَّى « المجازَ العقليَّ» .

==========

المبحثُ الثاني -في المجاز اللغويّ المفردِ المُرسلِ وعلاقاتهِ

***-المجازُ المفردُ المرسلُ**: هو الكلمةُ المستعملةُ قصداً في غير معناها الأصليّ لملاحظةِ علاقةٍ غيرِ (المشابهةِ) مع قرينةٍ دالّةٍ على عدمِ إرادة المعنى الوضعيّ.

وله علاقاتٌ كثيرةٌ أهمُّها :

(١)- **السببيَّةُ** : هي كونُ الشيءِ المنقولِ عنه سبباً ومؤثراً في غيرهِ، وذلك فيما إذا ذكِرَ لفظُ السببِ، وأريدَ منه المسبّبُ، نحو: رعتِ الماشيةُ الغيثَ – أي النباتَ، لأنَّ الغيثَ أيْ (المطرَ) سببٌ فيه،وقرينتُه (لفظيةٌ) وهي (رعَت) لأنَّ العلاقةَ تعتبرُ من جهةِ المعنى المنقولِ عنه، ونحو: لفلانٍ عليَّ يدٌ، تريدُ باليد النعمةَ، لأنها سببٌ فيها.

(٢) -**المسببيَّةُ** : هي أن يكونَ المنقولُ عنه مسبَّباً وأثراً لشيء آخر، وذلك فيما إذا ذكِرَ لفظُ المسبّبِ، وأريدَ منه السببُ، نحو قوله تعالى:((**وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا**))[غافر/١٣] أي: مطراً يسبّبُ الرزقَ.

(٣) –**الكليةُ**: هي كونُ الشيءِ متضمناً للمقصود ولغيره، وذلك فيما إذا ذكرَ لفظُ الكلِّ، وأريدَ منه الجزءُ، نحو قوله تعالى:((**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**))[البقرة/١٩] أي أناملَهم، والقرينةُ (حاليةٌ) وهي استحالةُ إدخالِ الأصبعِ كلِّه في الأذنِ، ونحو: شربتُ ماءَ النيل – والمرادُ بعضُهُ، بقرينةِ شربتُ.

(٤) -**الجزئيةُ** : هي كونُ المذكورِ ضمنَ شيءٍ آخر، وذلك فيما إذا ذكرَ لفظُ الجزءِ، وأريدَ منه الكلُّ، كقوله تعالى:((**وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً** ..))[سورة النساء/٩٢]، ونحو: نشرَ الحاكمُ عيونَهُ في

المدينة، أي الجواسيسُ، فالعيونُ مجازٌ مرسلٌ، علاقتُه (الجزئيةُ) لأنَّ كلَّ عينٍ جزءٌ من جاسوسِها – والقرينةُ الاستحالةُ.

(٥) -**الآليةُ** : هي كونُ الشيء واسطةً لإيصالِ أثر شيءٍ إلى آخر، وذلك فيما إذا ذكرَ اسمُ الآلةِ، وأريدَ الأثرُ الذي ينتجُ عنه، نحو قوله تعالى:((**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ**)) [الشعراء/٨٤] أي ذكراً حسناً ، (فلسانٌ) بمعنى ذكرٍ حسنٍ مجازٌ مرسلٌ، علاقتُه (الآليةُ) لأنَّ اللسانَ آلةٌ في الذكرِ الحسنِ.

(٦) -**اعتبارُ ما كانَ** : هو النظرُ إلى الماضي، أيْ تسميةُ الشيءِ باسم ما كانَ عليه، نحو قوله تعالى:((**وَآَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ**))[النساء/٢]، أي الذين كانوا يتامَى ثم بلغوا، فاليتامَى: مجازٌ مرسلٌ، علاقتُه (اعتبارُ ما كانَ)، وهذا إذا جرينا على أنّ دلالةَ الصفةِ على الحاضرِ حقيقةٌ، وعلى ما عداهُ مجازٌ.

(٧) -**اعتبارُ ما يكونُ** : هو النظرُ إلى المستقبلِ، وذلك فيما إذا أطلقَ اسمُ الشيء على ما يؤولُ إليه، كقوله تعالى:((**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا** ..)) [سورة يوسف/٣٦] ،أي: عصيراً يؤولُ أمرهُ إلى خمرٍ، لأنهُ حالَ عصرهِ لا يكونُ خمراً، فالعلاقةُ هنا: اعتبارُ (ما يؤولُ إليه)، ونحو قوله تعالى:((**وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**))[نوح/٢٧]، والمولودُ حين يولدُ، لا يكونُ فاجراً، ولا كافراً، ولكنهُ قد يكونُ كذلك بعد الطفولةِ، فأطلقَ المولودَ الفاجرَ، وأريدَ به الرجلَ الفاجرَ، والعلاقةُ، اعتبارُ (ما يكونُ).

(٨) -**الحاليّةُ** : هي كونُ الشيء حالاً في غيره، وذلك فيما إذا ذكرَ لفظُ الحالِ، وأريدَ المحلَّ لما بينهما من الملازمةِ، نحو قوله تعالى:((**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**))[آل عمران/١٠٧]، فالمرادُ من (الرحمةِ) الجنةُ التي تحلُّ فيها الرحمةُ، فهم في جنةٍ تحلُّ فيها رحمةُ الله، ففيه مجازٌ مرسلٌ، علاقتُه (الحاليةُ) ،وكقوله تعالى : (**يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**))[الأعراف/٣١]، أي لباسَكم، لحلولِ الزينةِ فيهنَّ، فالزينةُ حالٌ واللباسُ محِلُّها.

المبحثُ الثالثُ ـ في تعريف المجاز العقلي وعلاقاته

*-**المجازُ العقليُّ**: هو إسنادُ الفعلِ، أو ما في معناهُ من اسمِ فاعلٍ، أو اسمِ مفعولٍ أو مصدرٍ إلى غير ما هو له في الظاهرِ، من حال المتكلِّمِ، لعلاقةٍ مع قرينةٍ تمنعُ من أن يكونَ الإسنادُ إلى ما هوَ لهُ.

*- المجازُ العقليُّ على قسمين:

الأولُ- **المجازُ في الإسنادِ**، وهو إسنادُ الفعلِ أو ما في معنى الفعلِ إلى غير من هوَ لهُ، وهو على أقسام، أشهرها:

(١)- **الإسنادُ إلى الزمانِ**، نحو قول الشاعر:

لا تحسبنَّ سروراً دائماً أبداً ... مَنْ سرَّهَ زمنٌ ساءتْهُ أزمان

أسندَ الإساءةَ والسرورَ إلى الزمنِ، وهو لم يفعلْهما، بل كانا واقعينِ فيه على سبيلِ المجازِ.

(٢)- **الإسنادُ إلى المكانِ**، نحو قوله تعالى:((**وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ**))[الأنعام/٦]، فقد أسندَ الجريَ إلى الأنهار، وهي أمكنةٌ للمياهِ، وليستْ جاريةً بل الجاري ماؤُها.

(٣)- **الإسنادُ إلى السببِ**، كقوله: (بنَى الأميرُ المدينةَ) فإنّ َالأميرَ سببُ بناءِ المدينة، لا إنّه بناها بنفسِه. ،و نحو قول عنترة :

إنّي لمِنْ مَعْشر أفْنَى أوائلَهُمْ ... قيلُ الكُماةِ ألا أَينَ المحامُونا

فقد نسبَ الإفناءَ إلى قول الشجعانِ، هل من مبارزٍ ؟ ،وليس ذلك القولُ بفاعلٍ له، ومؤثرٍ فيه، وإنما هو سببٌ فقطْ .

(٤) **الإسنادُ إلى المصدرِ** ، كقول أبي فراس الحمداني:

سَيَذْكُرُني قَوْمي إذا جَدّ جدّهُمْ، وفي الليلةِ الظلماءِ ، يفتقدُ البدرُ

فقد أسندَ الجدَّ إلى الجدِّ، أي الاجتهادِ، وهو ليسَ بفاعلٍ له، بل فاعلُه الجادُّ – فأصله جدَّ الجادُّ جدًّا، أي اجتهدَ اجتهاداً، فحذفَ الفاعلَ الأصليَّ وهو الجادُّ، وأسندَ الفعلَ إلى الجدِّ.

(٥) **إسنادُ ما بنيَ للفاعلِ إلى المفعولِ**، نحو: سرَّني حديثُ الوامقِ، فقدِ استعملَ اسمَ الفاعل، وهو الوامقُ، أي (المُحِبُّ) بدلَ الموموقِ، أي المحبوبِ، فإنَّ المرادَ: سررتُ بمحادثةِ المحبوبِ.

(٦) **إسنادُ ما بنيَ للمفعولِ إلى الفاعل**، نحو قوله تعالى :((**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**)) [الإسراء/٤٥]،أي ساتراً، فقد جعلَ الحجابَ مستوراً، مع أنه هو الساترُ. وكما قال الحطيئةُ يهجو الزبرقانَ بنَ بدرٍ:

دَع المَكارِمَ لا تَرحَل لبغْيَتِها ... واقعُدْ فإنك أَنْتَ الطّاعِمُ الكاسِي

وهو يقصدُ المطعَم المكِسي .

الثاني- المجازُ في النسبةِ غيرِ الإسناديةِ، وأشهرُها النسبةُ الإضافيّةُ نحو:

١ - (جَرْيُ الأنهارِ) فإنَّ نسبةَ الجريِ إلى النهرِ مجازٌ باعتبار الإضافةِ إلى المكانِ.

٢ - (صومُ النهارِ) فإنَّ نسبةَ الصومِ إلى النهارِ مجازٌ باعتبارِ الإضافة إلى الزمانِ.

٣ -(غُرابُ البَينِ) فإنّهُ مجازٌ باعتبار الإضافة إلى السببِ.

٤ - (اجتهادُ الجِدّ) مجازٌ باعتبار الإضافةِ إلى المصدرِ.

***- تنبيهانِ :**

أ -الفعلُ المبني للفاعلِ واسمِ الفاعل إذا أُسندا إلى المفعولِ فالعلاقةُ المفعوليةُ،والفعلُ المبنيُّ للمجهولِ واسمُ المفعولِ إذ أُسندا إلى الفاعلِ فالعلاقةُ الفاعليةُ،واسمُ المفعولِ المستعمَلِ في موضعِ اسم الفاعلِ مجازٌ، علاقتُه المفعوليةُ،واسمُ الفاعل المستعمل في موضع اسمِ المفعولِ مجازٌ، علاقتُه الفاعليةُ.

ب- هذا المجازُ مادةُ الشاعرِ المفلِّقِ، والكاتبِ البليغِ، وطريقٌ من طرقِ البيانِ لا يستغني عنها واحدٌ منهُما.

*-من فوائدِ هذا المجازِ :

إنَّ للمجازِ المرسل ،على أنواعه، وكذلك العقليِّ ،على أقسامه، فوائدَ كثيرةً:

١ – **الإيجاز،** فإنَّ قوله: بنَى الأميرُ المدينةَ، أوجزُ من ذكر البنائينَ والمهندسينَ ونحوهِما، ونحوه غيره.

٢ -**سعةُ اللفظِ،** فإنه لو لم يجزْ إلا جرَى ماءُ النهرِ كان لكلِّ معنَى تركيباً واحداً، وهكذا بقيّةُ التراكيب.

٣ - **إيرادُ المعنى في صورةٍ دقيقةٍ مقربةٍ إلى الذهنِ،** إلى غير ذلك من الفوائدَ البلاغيةِ.

==========

الفصلُ الثالث – الاستعارةُ

***-تمهيدٌ:**

سبقَ أنَّ التشبيهَ أولُ طريقةٍ دلتْ عليها الطبيعةُ؛ لإيضاحِ أمرٍ يجهلُه المخاطبُ، بذكر شيءٍ آخر، معروفٍ عنده، ليقيسَه عليه، وقد نتجَ من هذه النظريةِ، نظريةٌ أخرى في تراكيب الكلامِ، ترى فيها ذكرَ المشبَّهِ به أو المشبَّهِ فقط.

وتسمَّى هذه بالاستعارةِ، وقد جاءتْ هذه التراكيبُ المشتملةُ على الاستعارة أبلغَ من تراكيب التشبيهِ، وأشدَّ وقعاً في نفس المخاطبِ، لأنه كلما كانتْ داعيةً إلى التحليقِ في سماء الخيالِ، كان وقعُها في النفسِ أشدَّ، ومنزلتُها في البلاغة أعلَى.

وما يبتكرهُ أمراءُ الكلامِ من أنواعِ صور الاستعارةِ البديعةِ، الّتي تأخذُ بمجامعِ الأفئدةِ، وتملكُ على القارئ والسامعِ لبَّهما وعواطفهُما هو سرُّ بلاغةِ الاستعارةِ.

فمنَ الصورِ المجملةِ الّتي عليها طابعُ الابتكار وروعةُ الجمالِ قولُ شاعر الحماسةِ:

قومٌ إذا الشرُّ أَبْدَى نَاجِذيه لهم ... طارُوا إليه زَرَافاتٍ وَوُحْدَانا

فإنهُ قد صوَّر لك الشرَّ، بصورة حيوانٍ مفترسٍ مكشِّرٍ عن أنيابهِ مما يملأُ فؤادكَ رعباً، ثم صوَّر القومَ الذين يعنيهم، بصورِ طيورٍ تطيرُ إلى مصادمةِ الأعداءِ؛ طيراناً مما يستثيرُ إعجابكَ بنجدتِهم، ويدعوكَ إلى إكبارِ حميَّتِهم وشجاعتِهم.

ومنهم منْ يعمدُ إلى الصورة الّتي يرسمُها، فيفصلُّ أجزاءها، ويبينُ لكلِّ جزءٍ مزيتَهُ الخاصةَ، كقول امرئ القيس في وصفِ الليلِ بالطولِ:

فَقُلْتُ له لمَّا تَمطَّى بِصُلْبِهِ ... وأرْدفَ أعْجـــــازاً وناءَ بِكَلْكَلِ

ألا أيّها اللّيلُ الطّويلُ ألا انْجَلِ ... بصُبــــحٍ وما الإصْباحَ مِنك بأمثَلِ

فإنه لم يكتفِ بتمثيلِ الليلِ، بصورة شخصٍ طويلِ القامةِ، بل استوفى له جملةَ أركانِ الشخصِ؛ فاستعارَ صُلباً يتمطَّى به، إذ كان كلُّ ذي صُلبٍ يزيدُ في طولهِ تمطيهِ، وبالغَ في ذلك بأنْ جعل له أعجازاً يردفُ بعضُها بعضاً، ثم أرادَ أن يصفَه بالثقلِ على قلبِ ساهرهِ، فاستعارَ له كلكلاً ينوءُ به أيْ يثقلُ به، ولا يخفَى عليكَ ما يتركُه هذا التفصيلُ البديعُ في قلبِ سامعهِ من الأثرِ العظيمِ، والارتياحِ الجميلِ.

ومنهم منْ لا يكتفي بالصورةِ التي يرسمُها، بل ينظرُ إلى ما يترتبُ على الشيءِ فيعقِّبُ تلك الصورةِ بأخرَى أشدَّ وأوقعَ، كقول أبي الطيب المتنبيِّ:

رماني الدهرُ بالأرْزاءِ حتى ... فؤادي في غِشاء من نِبالِ

فصِرْتُ إذا أصابتْني سِهامٌ ... تكسّرتِ النِّصالُ على النِّصالِ

فإنه لم يكتفِ بتصويرهِ المصائبَ سهاماً في سرعةِ انصبابِها، وشدةِ إيلامها، ولا بالمبالغةِ في وصف كثرتِها، بأنْ جعلَ منها غشاءً محيطاً بفؤادهِ، حتى جعل ذلك الغشاءَ من المتانةِ والكثافةِ، بحيث إنَّ تلكَ النصالِ مع استمرارِ انصبابِها عليه، لا تجدُ منفذاً إلى فؤادهِ، لأنها تتكسرُ على النصالِ الّتي سبقتْها، فانظرْ إلى هذا التمثيلِ الرائعِ، وقل لي: هلْ رأيتِ تصويراً أشدَّ منهُ لتراكمِ المصائبَ والآلامَ؟

==========

المبحث الأولُ- تعريفُ الاستعارة وبيانُ أنواعها

* تعريفها :**الاستعارةُ لغةً**: من قولهِم، استعارَ المالَ: إذا طلبَه عاريةً .

واصطلاحاً: هي استعمالُ اللفظُ في غير ما وضعَ له لعلاقةِ (المشابهةِ) بين المعنَى المنقولِ عنه والمعنِى المستعملِ فيهِ، مع (قرينةٍ) صارفةٍ عن إرادةِ المعنَى الأصليّ ،(والاستعارةُ) ليست إلا (تشبيهاً) مختصراً، لكنها أبلغُ منهُ كقولك: رأيتُ أسداً في المدرسةِ، فأصلُ هذه الاستعارةِ «رأيتُ رجلاً شجاعاً كالأسدِ في المدرسةِ» فحذفتَ المشبهَّ « لفظُ رجلٍ» وحذفتَ الأداةَ الكاف – وحذفتَ وجهَ التشبيهِ « الشجاعةَ» وألحقتهُ بقرينةٍ « المدرسةِ» لتدلَّ على أنكَ تريدُ بالأسدِ شجاعاً.

وأركانُ الاستعارةِ ثلاثةٌ:

(١) **مستعارٌ منه** – وهو المشبَّهُ بهِ.

(٢) **ومستعارٌ لهُ** – وهو المشبَّهُ.

(٣) **ومستعارٌ** – وهو اللفظُ المنقولُ.

فكلُّ مجازٍ يبنَى على التشبيهِ (يسمَّى استعارةً)،ولابدَّ فيها من عدم ذكر وجهِ الشبهِ، ولا أداة التشبيهِ، بل ولابدَّ أيضاً من تناسي التشبيهِ الذي من أجله وقعتِ الاستعارةُ فقط، مع ادعاءِ أنَّ المشبَّهَ عينُ المشبَّهِ به. أو ادعاءِ أنَّ المشبَّه فردٌ من أفرادِ المشبَّهِ به الكليّ. بأنْ يكون اسمَ جنسٍ أو علمَ جنسٍ، ولا تتأتَّى الاستعارةُ في العلَمِ الشخصيّ لعدم إمكانِ دخولِ شيء في الحقيقةِ الشخصيةِ، لأنَّ نفسَ تصوُّر الجزئيّ يمنعُ من

تصوُّرِ الشركةِ فيه.إلا إذا أفادَ العلَمُ الشخصيُّ وصفاً.به يصحُّ اعتبارهُ كلياً.فتجوز استعارتُه: كتضمنِ حاتمَ للجودِ، وقُسَّ للخطابةِ، فيقال: رأيتُ حاتماً، وقُسًّا؛ بدعوى كليةِ حاتمَ وقسَّ، ودخول المشبَّه في جنسِ الجوادِ والخطيبِ.

وللاستعارةِ أجملُ وقعٍ في الكتابةٍ، لأنها تمنحُ الكلامَ قوةً، وتكسوهُ حسناً ورونقاً، وفيها تثارُ الأهواءُ والإحساساتُ.

==========

المبحثُ الثاني - في تقسيم الاستعارة باعتبارِ ما يذكرُ من الطرفينِ

إذا ذكرَ في الكلامِ لفظُ المشبَّهِ به فقط، فاستعارةٌ تصريحيةٌ أو مصرّحةٌ نحو قول الشاعر:

وَأَمْطَرَتْ لُؤلُؤاً منْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرْداً وَعَضَّتْ عَلَى العُنَّابِ بِالبَرَدِ

فقد استعارَ: اللؤلؤَ، والنرجسَ و الوردَ، والعنابَ، والبرَدَ للدموعِ، والعيونَ، والخدودَ، والأناملَ، والأسنانَ.

وإذا ذكرَ في الكلام لفظُ المشبَّهِ فقط، وحذِفَ فيه المشبَّهُ به، وأشيرَ إليه بذكر لازمهِ: المسمَّى « تخييلاً» فاستعارةٌ مكنيةٌ أو بالكنايةِ، كقول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَها ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ

فقد شبَّه َالمنيةَ، بالسبعِ، بجامعِ الاغتيالِ في كلٍّ، واستعارَ السبعَ للمنيةِ وحذفَه، ورمزَ إليه بشيءٍ من لوازمهِ، وهو (الأظفارُ) على طريق الاستعارةِ المكنيةِ الأصليةِ، وقرينتُها لفظةُ «أظفار» ،ثم أخذَ الوهمَ في تصويرِ المنيةِ بصورةِ السبعِ، فاخترعَ لها مثل صورةِ الأظفارِ، ثم أطلقَ على الصورةِ التي هي مثلُ صورةِ الأظفارِ، لفظَ (الأظفارِ) فتكونُ لفظةُ (أظفارٍ) استعارةً(تخييليةً) لأنَّ المستعارَ له لفظُ أظفارٍ صورةً وهميةً، تشبهُ صورةَ الأظفارِ الحقيقيةِ، وقرينتُها إضافتُها إلى المنيةِ، ونظراً إلى أنَّ(الاستعارةَ التخييليةَ) قرينةُ المكنيةِ، فهي لازمةٌ لا تفارقُها، لأنّه لا استعارةَ بدونِ قرينةٍ.

وإذاً: تكونُ أنواعُ الاستعارة ثلاثةً: تصريحّيةً، ومكنّيةً، وتخييليةّ .

==========

المبحثُ الثالث ـ في الاستعارة باعتبارِ الطرفينِ

في الاستعارة باعتبار اللفظِ المستعارِ إن كان المستعارُ له محققاً حسًّا بأنْ يكونَ اللفظُ قد نقلَ إلى أمرٍ معلومٍ، يمكنُ أن يشارَ إليه إشارةً حسيةً كقولك: رأيتُ بحراً يعطي.

أو كانَ المستعارُ له محققاً عقلاً بأنْ يمكنَ أن ينصَّ عليه،ويشارَ إليه إشارةً عقليةً، كقوله تعالى:((**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**))[الفاتحة/٦] أي: الدينَ الحقَّ، فالاستعارةُ تحقيقيةٌ.

وإن لم يكنِ المستعارُ له محققاً، لا حسًّا ولا عقلاً فالاستعارةُ تخييليةٌ ، وذلك: كالأظفارِ، في نحو: أنشبتِ المنيةُ أظفارَها بفلانٍ.

وأما قولُ زهير:

صَحا القَلبُ عن سلمى وأقصرَ باطِلُهْ وَعُرّيَ أفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ

فيحتملُ أنْ يكونَ استعارةً تخييليةً ، وأنْ يكونَ استعارةً تحقيقيةً، أمَّا التخييلُ فإنه يكونُ أراد أنْ يبينَ أنه ترك ما كان يرتكبُه أو انَ المحبةِ من الجهلِ والغيّ، وأعرضَ عن معاودتهِ فتعطلتْ آلاتهُ، كأيّ أمرٍ وطِّنَ في النفس على تركهِ ،فإنه تهمَلُ آلاتهُ فتتعطلُ، فشبَّه الصِّبا بجهةٍ من جهاتِ المسيرِ كالحجِّ والتجارةِ قضَى منها الوطرَ فأهملَ آلاتِها فتعطلتْ، فأثبتَ له الإفراسُ والرواحلُ، فالصَّبا على هذا من الصَّبوة [١]بمعنى الميلِ إلى الجهلِ والفتوةِ ،لا بمعنَى الفتاءَ(٢) وأمَّا التحقيقُ فإنه يكونُ أرادَ دواعي النفوسِ وشهواتِها والقوى الحاصلةَ لها في استيفاءِ اللذاتِ أو الأسبابِ التي قلما تتآخذُ في اتباعِ الغيّ إلا أوانِ الصِّبا.

==========

[١] - الصَّبْوَة جَهْلَة الفُتُوَّةِ واللَّهْو من الغَزَل ومنه التَّصابي والصِّبا صَبا صَبْواً وصُبُوّاً وصِبىً وصَباءً "لسان العرب - (ج ١٤ / ص ٤٤٩)

[٢] - الفَتاء بالفتح والمدّ : المصدَرُ مِن الفَتِيّ السِّنّ . يقال : فَتِيٌّ بَيّن الفَتَاء : أي طَرِيُّ السِّنّ مختار الصحاح - (ج ١ / ص ٢٣٤) والنهاية في غريب الأثر - (ج ٣ / ص ٧٧٨)

المبحث الرابعُ ـ في الاستعارة باعتبار اللفظِ المستعارِ

*ـ تكونُ الاستعارةُ باعتبار اللفظِ المستعارِ في الأفعالِ أو المشتقاتِ أو الحروفِ على النحو التالي :

(١)ـإذا كانَ اللفظُ المستعارُ «اسماً جامداً لذاتٍ» كالبدرِ إذا استعيرَ للجميلِ ،أو «اسماً جامداً لمعنًى» كالقتلِ إذا استعيرَ للضربِ الشديدِ ، سميتِ الاستعارةُ « أصليَّةً» كقوله تعالى:((**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**)) [سورة إبراهيم/١] ، وكقوله تعالى:((**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**))[سورة الإسراء/٢٤].

وسمِّيتْ أصليةً لعدمِ بنائها على تشبيهٍ تابعٍ لتشبيهٍ أخرَ معتبَرٍ أوَّلاً .

وكقول المتنبي يمدح بدر بن عمار:

في الخّدّ أنْ عَزَمَ الخَليطُ رَحيلا ... مَطرٌ يَزيدُ بهِ الخُدُودُ مُحُولا

يقول: إذا عزمَ الخليطُ رحيلاً بكى المحبُّ بكاءً مثلَ المطر، إلا أنهُ لا ينبتُ العشبَ كغيره من الأمطار، والخدودُ يزيد محلُها به .

(٢)ـ إذا كان اللفظ المُستعارُ « فعلاً» أو اسمَ فعلٍ، أو اسماً مشتقاً أو اسماً مبهماً أو حرفاً فالاستعارةُ « تصريحيةٌ تبعيةٌ» نحو: نامتْ همومي عنّي، ونحو: صهٍ: الموضوعُ للسكوتِ عن الكلام، والمستعملُ مجازاً في ترك الفعل، ونحو: الجنديُّ قاتلَ اللصَّ، بمعنى ضاربَه ضرباً شديداً، ونحو: هذا: الموضوعةُ للإشارةِ الحسيَّةِ، والمستعملةُ مجازاً في الإشارةِ العقليةِ نحو: هذا رأيٌ حسنٌ، ونحوقوله تعالى على لسان فرعون :((**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**))[طه/٧١]، ونحو قوله تعالى عن موسى عليه السلام :((**فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا**))[القصص/٨].

(٣)ـ إذا كان اللفظُ المستعارُ اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً، « دون باقي أنواعِ التبعيةِ المتقدِّمَة» فالاستعارةُ « تبعيةٌ مكنيةٌ» ،وسميتْ (تبعيةً) لأنَّ جريانِها في المشتقاتِ، والحروفِ، تابعٌ لجريانها أولاً: في الجوامدَ، وفي كلياتِ معاني الحروفِ، يعني: أنها سميتْ تبعيةً لتبعيتِها لاستعارةٍ أخرى، لأنها في المشتقاتِ تابعةً للمصادرِ، ولأنها في معاني الحروفِ تابعةً لمتعلّقِ معانيها، إذ معاني الحروفِ جزئيةٌ، لا تتصورُ الاستعارةُ فيها إلا بواسطة كليٍّ مستقلٍّ بالمفهوميةِ ليتأتَّى كونُها مشبَّهاً، ومشبَّها بها، أو محكوماً عليها، أو بها.

نحو: ركبَ فلانٌ كتفي غريَمهُ ، أي: لازمَه ملازمةً شديدة.

وكقوله تعالى:((**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**))[البقرة/٥]، أي تمكنوا منَ الحصول على الهدايةِ التّامَّةِ ، ونحو: (أذقتَهُ لباسَ الموتِ) أي ألبستُه إياهُ.

و فـي الحـروفِ كقولـه تعـالي:((**فَالْتَقَطَـهُ آَلُ فِرْعَـوْنَ لِيَكُـونَ لَهُـمْ عَـدُوًّا وَحَزَنًـا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ**))[القصص/٨].

قال القرطبيُّ:" قوله – تعالى:((**فالتقطه آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَنـاً**)) لما كان التقاطهُم إياهُ يؤدّي إلى كونه لهم عدوّاً وحزناً؛ فاللام في ((**ليكونَ**)) لام العاقبة ولام الصيرورة؛ لأنهم إنما أخذوه ليكون لهم قرّةَ عين ، فكان عاقبة ذلك أن كان لهم عدوّاً وحزناً ، فذكر الحال بالمآل؛ كما قال الشاعر:

وللمنايا تُربِّي كلُّ مُرْضِعةٍ ... ودُورُنا لخراب الدهر نَبْنِيها

وقال آخرُ:

فلِلْمَوت تَغْذُو الوالداتُ سِخَالَها ... كما لِخَرابِ الدَّهْر تُبْنَى المَساكنُ

أي فعاقبة البناء الخراب وإن كان في الحال مفروحاً به . والالتقاطُ وجود الشيءِ من غير طلبٍ ولا إرادةٍ . والعربُ تقول لما وجدته من غير طلب ولا إرادة : التقطهُ التقاطاً . ولَقيتُ فلاناً التقاطاً . قال الراجز:

ومَنْهَلٍ وَرَدْتُه الْتِقَاطَا   لم أَرَ إِذْ وَرَدْتُهُ فُرَّاطَا

ومنه اللقطة ".

ويرى بعضُهم أنَّ اللام هنا يصحُّ أن تكون للتعليلِ ، بمعنى ، أنَّ الله - تعالى - سخَّر بمشيئتهِ وإرادتهِ فرعونَ وآله . لالتقاط موسى ، ليجعله لهم عدوًّا وحزناً ، فكأنَّه - سبحانه - يقول : قدَرنا عليهم التقاطَه بحكمتِنا وإرادتِنا ، ليكون لهم عدوا وحزنا .

----

*-قرينةُ الاستعارةِ:

فالقرينـةُ: هـي الأمـرُ الـذي ينصِبُه المتكلمُ دليلاً على أنـه أراد بـاللفظِ غيرَ معنـاهُ الحقيقيِّ .

وهي نوعانِ: لفظيةٌ وغير لفظيةٍ .

فاللفظيـةُ: هـي مـا دلَّ عليهـا بلفظٍ يـذكَرُ فـي الكـلام ليصـرفَه عـن معنـاهُ الحقيقـيِّ، ويوجهَـهُ إلـى معنـاهُ المجـازيِّ المـرادِ علـى أن يكـونَ مـن ملائمـاتِ المشـبَّه بـه فـي الاستعارةِ التصريحيةِ، ومن ملائماتِ المشبَّهِ في الاستعارةِ المكنيةِ

وأما غيرُ اللفظيةِ: فهي التي دُلَّ عليها بأمرٍ خارجٍ عن اللفظِ ، وهذا النوعُ من القرينةِ يسمَّى (**قرينةً حاليةً**)؛ لأنها أمرٌ عقليٌّ لا يدَلُّ عليه بلفظٍ من الكلامِ ، بل يدَلُّ عليه بالحالِ كقول الحطيئة:

ماذا تَقُولُ لأَفْراخٍ بِذِي مَرَخٍ ... حُمْرِ الحَواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ

أَلْقَيْتَ كاسِيَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَة ... فاغْفِرْ، عليكَ سَلامُ اللهِ يا عُمَرُ

فكلمةُ أفراخٍ استعارةٌ ، فقد شبَّه الشاعرُ أطفالَه الصغارِ بأفراخِ الطيرِ بجامعِ العجزِ والحاجةِ إلى الرعايةِ في كلٍّ منهما، ثم استعارَ الأفراخَ على سبيل الاستعارةِ التصريحيةِ الأصليةِ .

المبحثُ الخامسُ- تقسيمُ الاستعارة إلى تصريحية وإلى مكنية

أولا-**الاستعارةُ التصريحيةُ** : هي ما صُرِّحَ فيها بلَفظِ المشبَّه بهِ.

كقوله تعالى:((**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**))[الفاتحة/٦]، والصراطُ الطريقُ ،فقد شبَّه الدينَ بالصراطِ بجامعِ التوصيل إلى الهدفِ في كلٍّ منهما وحذفَ المشبَّه وهو الإسلامُ وأبقى المشبَّهَ بهِ.

وقوله تعالى:((**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**))[إبراهيم/١])، فقد شبَّه الكفرَ بالظلماتِ والإيمانَ بالنورِ وحذفَ المشبَّه وأبقى المشبَّهَ به

وكقول المتنبي:

ولم أرَ قبلي مَنْ مشَى البدرُ نحوهُ ... ولا رَجلاً قامتْ تعْانقُهُ الأسْدُ

فكلمتي البدرِ والأسدِ مشبَّهٌ به في الأصلِ ، وحُذِفَ المشبَّهُ ، فالبدرُ لا يمشي والأسدُ لا تعانق

وقال في مدح خط سيف الدولة:

أمَا تَرَى ظَفَراً حُلْواً سِوَى ظَفَرٍ تَصافَحَتْ فيهِ بِيضُ الهِنْدِ وَاللِّمَمُ

فهذا البيت يحتوي على مجاز هو "تصافحت" الذي يراد منه تلاقَت، لعلاقة المشابهة والقرينةِ "بيضُ الهند واللمم".

وإذا تأملتَ كل مجاز سبق َرأيتَ أنه تضمَّن تشبيهاً حُذِف منه لفظ المشبَّه واستعير بدله لَفْظ المشبَّه به ليقومَ مقامه بادعاء أنَّ المشبه به هو عينُ المشبَّه، وهذا أبعدُ مدى في البلاغةِ، وأدخَل في المبالغة، ويسمَّى هذا المجاز استعارةً، ولما كان المشبَّهُ به مصرّحاً به في هذا المجاز سمّيَ استعارةً تصريحيةً.

ثانيا- الاستعارةُ المكنيَّةُ : هي ما حُذِفَ فيها المشَبَّهَ بهِ ورُمِزَ لهُ بشيء مِنْ لوازمه.

كقوله تعالى:((**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**))[الإسراء/٢٤]، فقد شبَّه الذلَّ بالطائرِ، وحذف المشبَّه به ولكنْ رمزَ إليه بشيءٍ من لوازمهِ وهو الجناحُ ، فلم يذكر من أركانِ التشبيه إلا الذلَّ وهو المشبَّهُ.

وكقول الرسول ﷺ : « بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ »[٣]، فقد شبَّه الإسلامَ بالبيتِ، ولكن حذف المشبَّهَ به وهو البيتُ وأبقى بعضاً من لوازمهِ الجوهريةِ وهو البناءُ.

وقال المتنبي:

ولمّا قَلّتِ الإبْلُ امْتَطَيْنَا إلى ابنِ أبي سُلَيْمانَ الخُطُوبَا

أي لما أعوزتنا الإبلُ وفقدناها لقلةِ ذاتِ اليد أدتني المحنُ والشدائدُ إلى الممدوحِ ، فكأنها كانتْ مطايا لنا

==========

المبحثُ السادسُ – في المجاز المركب بالاستعارةِ التمثيلية

*-تعريفُهُ :هو تركيبٌ استُعْمِلَ في غير ما وُضِعَ له لِعلاَقَةِ المشابَهةِ مَعَ قَرينَةٍ مَانِعةٍ مِنْ إرادةِ مَعْناهُ الأَصْليّ. بحيثُ يكون كلٌّ منَ المشبَّه والمشبَّه به هيأةً منتزعةً منْ متعددٍ ،وذلك بأنْ تشبَّهَ إحدى صورتينِ منتزعتينِ من أمرينِ، أو أمورٍ (بأخرَى) ثم تدخل المشبَّهَ في الصورةِ المشبَّهِ بها مبالغةً في التشبيهِ – ويسمَّى بالاستعارةِ التمثيليةِ، وهي كثيرةُ الورودِ في الأمثال السائرةِ، نحو: الصيفَ ضيعتِ اللبنَ – يضربُ لمن فرَّط في تحصيلِ أمرٍ في زمنٍ يمكنهُ الحصولُ عليه فيه، ثم طلبَه في زمنٍ لا يُمكنهُ الحصولُ عليه فيه، ونحو:(إني أراكَ تقدِّمُ رجلاً وتؤخِّرُ أخرَى) يضرَبُ لمن يترددُ في أمرٍ، فتارةً يقدِمُ، وتارةً يحجمُ، ونحو:(أحَشَفاً وسوءَ كِيلَةٍ ؟) يضرَبُ لمن يظلَمُ من وجهينِ – وأصلُه أنّ رجلاً اشترى تمراً منْ آخر، فإذا هو رديءٌ، وناقصُ الكيلِ، فقال المشتري ذلك – ومثل ما تقدم جميعُ الأمثال السائرةِ (نثراً ونظماً) فمنَ النثرِ قولهُم: لمن يحتالُ على حصول أمر خفيٍّ، وهو متسترٌ تحت أمرٍ ظاهرٍ :« لأمرٍ مَّا جُدع قصيرٌ أنفه »، وقولهم: « تجوعُ الحُرّةُ ولا تأكُلُ بثَدْيَيها »، وقولهم لمنْ يريدُ أن يعملَ عملاً وحدَه وهو عاجزٌ عنه :« اليد لا تصفق

[٣] - أخرجه البخاري برقم(٨) ومسلم برقم(١٢١)

وحدها»تشبيهاً لـه باليد الواحدة. وقولهم لمجاهدٍ عادَ إلى وطنهِ بعد سفر: « عادَ السَّيْفُ إلى قِرَابهِ، وَحلَّ اللَّيْثُ منيعَ غابه » وقولهم لمن يأتي بالقول الفصل :(قَطَعَتْ جَهيزَةُ قَوْلَ كلِّ خَطيبِ). وهو تركيب يُتَمَثلُ به في كل موطن يؤتَى فيه بالقولِ الفصل.

ومن الشعرِ قولُ الشاعر:

إذا جاءَ موسى وألقى العصا فقد بطلَ السِّحرُ والساحرُ

وقال المتنبي:

ومَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَريضٍ يَجدْ مُرّاً بهِ المَاءَ الزُّلالا

هذا البيتُ يدل وضْعه الحقيقيُّ على أَن المريضَ الذي يصابُ بمرارة في فمهِ إذا شربَ الماءَ العذبَ وجده مُرًّا، ولكنه لم يستعمله في هذا المعنى بل استعمله فيمن يَعيبون شِعْرَه لعيْب في ذوقهم الشعري. وضعْف في إدراكهم الأدبي، فهذا التركيب مجاز قرينته حالِيَّة، وعلاقته المشابهة، والمشبه هنا حال المُولَعين بذمه والمشبه به حال المريض الذي يجد الماءَ الزلال مرًّا.

==========

المبحثُ السابعُ- تنبيهاتٌ عامة

التنبيهُ الأول- كلُّ تبعيةٍ قرينتها مكنيةٌ.

التنبيه الثاني- إذا أجريتِ الاستعارةُ في واحدة من الاستعارة التصريحيةِ أو في الاستعارة المكنيةِ، امتنعَ إجراؤُها في الأخرى.

التنبيه الثالث- تقسيمُ الاستعارة إلى أصليةٍ وتبعيةٍ عامٌّ في كلٍّ من الاستعارةِ التصريحيةِ والمكنيةِ.

التنبيه الرابع- تبينَ أنَّ الاستعارةَ هي اللفظُ المستعملُ في غير ما وضعَ له، لعلاقة المشابهةِ، مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادة المعنى الوضعيّ .أو هي: مجازٌ لغويٌّ علاقتُه المشابهةُ، كقول زهير:

لَدَى أَسَدٍ شاكي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ ... لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ

فقد استعارَ لفظَ الأسدِ: للرجلِ الشجاعِ لتشابههما في الجراءة،والمستعار له هنا: محققٌ حسًّا.

و كقوله تعالى:((**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**)) [سورة الفاتحة/٦]؛ فقد استعارَ الصراط المستقيمَ للدين الحقِّ، لتشابههما في أن كلاًّ يوصل إلى المطلوبِ.

و كقوله تعالى:((**الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**))[سورة إبراهيم/١] ،أي من الضلالِ إلى الهدى، فقد استعير لفظ الظلمات للضلال، لتشابههما في عدم اهتداء صاحبيهما، وكذلك استعير لفظ النور للإيمان.لتشابههما في الهدايةِ، والمستعاراتُ لهما هو الضلالُ والإيمانُ، كلٌّ منها محققٌ عقلاً وتسمَّى هذه الاستعاراتُ تصريحيةً وتسمَّى تحقيقيةً.

وأمَّا قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَها ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ

في اغتيال النفوس قهراً،من غير تفرقةٍ بين نفاعٍ وضرارٍ، ولم يذكر لفظ المشبَّه بـه، بل ذكر بعض لوازمِه وهو أظفارُها التي لا يكمل الاغتيالُ في السبع إلا بها.تنبيهاً على المشبَّه به المحذوفِ فهو استعارةٌ مكنيةٌ .

وكقول الشاعر:

ولئن نطقتُ بشكرِ برِّكَ مفْصِحا ... فلسانُ حالي بالشِّكايةِ أنطَقُ

فشبه الحالَ، بإنسانٍ ناطقٍ في الدلالةِ على المقصود، ولم يصرح بلفظ المشبَّه به ،بل ذكر لازمه، وهو اللسانُ الذي لا تقومُ الدلالة الكلاميةُ إلا به، تنبيهاً به عليه، فهو أيضاً استعارةٌ مكنيةٌ، وقد أثبتَ للمشبه لازمٌ من لوازم المشبَّه به، لا يكون إلا به كمالُه أو قوامُه في وجه الشبهِ كالأظفار التي لا يكمل الافتراسُ إلا بها. كما في المثال الأول واللسان الذي لا تقوم الدلالةُ الكلامية في الإنسان إلا به، كما في المثال الثاني وليس للمنية شيء كالأظفار نقل إليه هذا اللفظ، ولا للحال شيء كاللسان نقل إليه لفظ اللسان. و ما كان هذا حاله يعتبر طبعاً تخييلاً أو استعارةً تخييليةً.

التنبيه الخامس- تقدم أنَّ الاستعارةَ التصريحيةَ أو المصرحةَ: هي ما صرّح فيها بلفظِ المشبَّه به.

وأنَّ المكنيةَ، هي ما حذِفَ فيها لفظُ المشبَّه به، استغناءً ببعض لوازمِه التي بها كمالُه أو قَوامُه في وجه الشبَّه

وأنَّ إثباتَ ذلك اللازمِ تخييلٌ أو استعارةٌ تخييليةٌ.،غير أنهم اختلفوا في تعريف كلٍّمن المكنيةِ والتخييلةِ.

المبحثُ العاشر-في المجاز المُرسل المركَّب

*- **تعريفُـه** :هـو الكـلام المسـتعملُ فـي غيـر المعنـى الـذي وضـعَ لـه، لعلاقـةٍ غيـر المشابهة، مع قرينة مانعةٍ من إرادة معناه الوضعيّ.

ويقعُ أولا- في المركبات الخبريةِ المستعملة في الإنشاءِ وعكسهِ، لأغراضٍ منها:

١ - التَّحَسُّر وإظهارُ التأسف، كما في قول البارودي:

ذهبَ الصبا ، وَ تولتِ الأيامُ فعلى الصبا، وَعلى الزمانِ سلامُ

فإنـه وإن كـان خبـراً فـي أصـل وضـعه، إلا أنـه فـي هـذا المقَـام مسـتعملٌ فـي إنشـاء التحَّسرِ والتحزنِ على ما فات من الشباب.

و كما في قول جعفر بن عُلبة الحارثي:

هَوايَ مع الرَّكْبِ اليَمانِينَ مُصْعِدٌ ... جَنِيبٌ وجُثْمانِي بمَكَّةَ مُوثَقُ

فهو يشير إلى الأسف والحزنِ الذي ألمَّ بـه من فراق الأحبـة، ويتحسَّرُ علـى مـا آل إليه أمره، والقرينةُ على ذلك حالُ المتكلم، كما يفهم من الشطر الثاني في قوله هَوَايَ، الخ.

٢ - إظهارُ الضعف، كما في قوله تعالى على لسان موسى عليـه السلام :((**رَبِّ إِنِّـي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**))[سورة القصص/٢٤]، و كما في قول الشاعر:

رَبَّ إني لا أستطيعُ اصطباراً فاعفُ عنِّي يا منْ يقيلُ العثارا

٣ - إظهارُ السرور، نحو: كُتِبَ اسمي بين الناجحين.

٤ -الدعاءُ، نحو: نجَّحَ اللهُ مقاصدنا، أيها المجاهدُ لك البقَاءُ.

وثانيـاً- فـي المركبـات الإنشـائية، كـالأمر، والنهـي، والاسـتفهام، التـي خرجـت عـن معانيهـا الأصـليةِ، واسـتعملت فـي معـان أُخـر: كمـا فـي قـول المصـطفى عليـه الصـلاة والسلام: «مَنْ كذَب على متعمداً فلْيَتَبوأ مقعده من النـارِ»[٤].إذ المـراد «يتبـوأُ مقعـدهُ» والعلاقـةُ فـي هـذا السَّـببيَّة والمسـببيةِ، لأنَّ إنشـاء المـتكلم للعبـارة سـببٌ لإخبـارهِ بمـا يتضمَّنُهُ، فظاهره أمرٌ،ومعناه خبرٌ.

==========

[٤] - أخرجه البخارى برقم(١٢٩١) ومسلم برقم(٤)

المبحثُ الثاني عشر – في بلاغة الاستعارة

سبق لكَ أَنَّ بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين: الأُولى تأْليف أَلفاظه، والثانيةِ ابتكار مشبَّه به بعيد عن الأَذهانِ، لا يجول إلا في نفسِ أديبِ وهبَ الله له استعدادًا سليماً في تعرُّف وجوه الشَّبه الدقيقةِ بين الأَشياء، وأودعه قدْرةً على ربط المعاني وتوليدِ بعضها من بعض إلى مدًى بعيدٍ لا يكاد ينتهي.

وسرُّ بلاغةِ الاستعارة لا يتعدى هاتين الناحيتين، فبلاغتُها من ناحية اللفظ. أنَّ تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحمْلك عمدًا على تخيُّل صورة جديدة تُنْسيك رَوْعَتُها ما تضمَّنه الكلام من تشبيه خفي مستور.

انظر إلى قول البحتريّ في الفتح بن خاقان:

يَسمُو بكَفٍّ، على العافينَ، حانيَةٍ، تَهمي، وَطَرْفٍ إلى العَلياءِ طَمّاحِ

ألست ترى كفّه وقد تمثَّلتْ في صورة سحابة هتَّانة تصُبُّ وبلها على العافين السائلين، وأنَّ هذه الصورة قد تملكتْ عليك مشاعرك فأذْهلتْكَ عما اختبأَ في الكلام من تشبيه؟

وإذا سمعتَ قوله في رثاء المتوكل وقد قُتلَ غِيلةً:

صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ السّيُوفُ حُشَاشَةً، يَجُودُ بها، والمَوْتُ حُمْرٌ أظافرُهْ

فهل تستطيعُ أن تُبعِدَ عن خيالك هذه الصورة المخيفةَ للموت، وهي صورةُ حيوانٍ مفترس ضرّجتْ أظافره بدماءِ قتلاه؟

لهذا كانتِ الاستعارةُ أبلغَ من التشبيه البليغ؛ لأنه - وإنْ بنيَ على ادعاءِ أن المشبَّه والمشبَّه به سواءٌ -لا يزالُ فيه التشبيه منْوِيًّا ملحوظاً ،بخلافِ الاستعارة فالتشبيهُ فيها مَنْسيٌّ مجحُودٌ؛ ومن ذلك يظهر لك أنَّ الاستعارةَ المرشحةَ أبلغُ من المطْلَقَةِ، وأن المطلقةَ أبلغُ من المجردة.

أمَّا بلاغةُ الاستعارةِ من حيثُ الابتكارُ ورَوْعَةُ الخيال، وما تحدثُه من أثر في نفوس سامعيها، فمجالٌ فسيحٌ للإبداعِ، وميدانٌ لتسابق المجيدين من فُرسانِ الكلام.

انظر إلى قوله عزَّ شأْنه في وصف النار:((تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ)) [سورة الملك/٨](٥)، ترتسمُ أمامك النارُ في صورة مخلوقٍ ضَخْمٍ بطّاشٍ مكفهرّ الوجه عابسٍ يغلي صدرُه حقدًا وغيظاً.

---

٥ - تتميز غيظاً: تتقطع غضباً على الكفرة، وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم، والفوج: الجماعة، والاستفهام في قوله تعالى: {ألم يأتكم نذير}؟ للتوبيخ.

ثم انظر إلى قول أبى العتاهية في تهنئة المهدي بالخلافة:

أتتْهُ الخِلاَفَةُ مُنْقادَةً ... إلَيْهِ تُجَرّرُ أذْيالَها

تجد أن الخِلافة غادةٌ هيفاءُ مُدَلَّلَة ملولٌ فُتِن الناسُ بها جميعاً، وهي تأْبى عليهم وتصدُّ إعراضاً، ولكنها تأْتي للمهدي طائعة في دلال وجمال تجرُّ أَذيالها تيهاً وخفرًا.هذه صورةٌ لا شك رائعةٌ أَبْدع أَبو العتاهية تصويرَها، وستبقى حُلوةً في الأسماع حبيبةً إلى النفوس ما بقيَ الزمانُ.

ثم اسمع قول البارودي :

إذَا اسْتَلَّ مِنْهُمْ سَيّدٌ غَرْبَ سَيْفِهِ تفزَّعتِ الأفلاكُ ، والتفَتَ الدَهرُ

وخبرني عما تحسُّ وعما ينتابك من هولٍ. مما تسمع. وقل لنا كيفَ خطرتْ في نفسك صورةُ الأَجرام السماوية العظيمةِ حيَّةً حساسة تَرتعِد فَزَعاً وَوَهَلا، وكيف تصورتَ الدهرَ وهو يلتفتُ دهشاً وذهولاً؟

ثم اسمع قوله في منفاهُ وهو نهْبُ اليأْسِ والأملِ:

أَسْمَعُ فِي قَلْبِي دَبِيبَ الْمُنَى وألمحُ الشُّبهةَ فى خاطِرِي

تجدْ أَنه رسمَ لك صورةً للأمل يتمَشى في النفس تمشيًّا مُحَسًّا يسمعه بأُذنه. وأنَّ الظنون والهواجسَ صار لها جسمٌ يراه بعينه؛ هل رأَيت إبداعاً فوق هذا في تصويره الشك والأمل يتجاذبان؟ وهل رأيت ما كان للاستعارة البارعة من الأَثر في هذا الإبداع؟

ثم انظر قولَ الشريف الرضي في الودَاعِ:

نَسرِقُ الدّمعَ في الجُيوبِ حَياءً وَبِنَا مَا بِنَا مِنَ الإشفَاقِ

هو يسرقُ الدمعَ حتى لا يُوصمَ بالضعفِ والخَور ساعةَ الوداعِ، وقد كان يستطيعُ أن يقول: "نَستُر الدمع في الجيوب حياءً"؛ ولكنه يريد أن يسمو إِلَى نهاية المُرْتقى في سحر البيان، فإن الكلمة "نسْرِقُ" ترسُم في خيالك صورةً لشدةِ خوفهِ أَن يظهر فيه أثرٌ للضعفِ، ولمهارتهِ وسرعتهِ في إِخفاء الدمع عن عيون الرقباءِ. ..

==========

الفصلُ الرابعُ - في الكنايةِ

*-**الكناية لغة**: ما يتكلمُ به الإنسانُ، ويريد به غيره، وهي: مصدر كنيت، أو كنوت بكذا، عن كذا، إذا تركت التصريح به .

واصطلاحاً: لفظٌ أريد به غيرُ معناهُ الذي وضعَ له، مع جواز إرادةِ المعنى الأصليّ، لعدم وجود قرينةٍ مانعة من إرادته، نحو : « زيدٌ طويلُ النجادُ » تريد بهذا التركيب أنه شجاعٌ عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة، إلى الإشارة إليها بشيءٍ تترتب عليه وتلزمه، لأنه يلزم من طول حمالةِ السيف طولُ صاحبه، ويلزم من طول الجسمِ الشجاعةُ عادةً، فإذاً: المراد طولُ قامته، وإنْ لم يكن له نجادٌ، ومع ذلك يصحُّ أن يراد المعنى الحقيقيَّ ، ومن هنا يعلَمُ أنَّ الفرقَ بين الكناية والمجاز صحةُ إرادةِ المعنى الأصليّ في الكناية، دون المجازِ، فإنه ينافي ذلك، نعم: قد تمتنعُ إرادةُ المعنى الأصليّ في الكناية، لخصوصِ الموضوعِ . وتنقسمُ الكنايةُ بحسبِ المعنى الذي تُشيرُ إليه إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

كنايةٌ عن صفةٍ :

كما تقول :(فلانٌ نظيفُ اليدِ) تكني عن العفةِ والأمانةِ ،وتعرف كنايةُ الصفة بذكر الموصوفِ: ملفوظاً أو ملحوظاً من سياق الكلام. وكما يقال (الصِّديقُ) تعني أبا بكر رضي الله عنه ، وكذلك الفاروق تعني عمر رضي الله عنه ، وأمين هذه الأمة ، تعني أبا عبيد بن الجراح رضي الله عنه ، وسيف الله المسلول ، تعني خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وكما ورد في قوله تعالى:((**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**))[سورة الأحزاب/٤٥-٤٦] ، فهذه كلها صفات للنبي ﷺ.

وكقول المتنبيّ:

فَمَسّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَريرٌ وَصَبّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُرَابُ

٢- كنايةٌ عن موصوفٍ :

كما تقولُ (الناطقينَ بالضادِ) تكني عن العربِ، و (دارُ السَّلام) تكني عن بغدادَ ، و(طيبةُ) كنايةٌ عن المدينةِ المنورةِ ، وتعرفُ بذكر الصفةِ مباشرةً، أو ملازمة ،ومنها قولهم : (هو حارسٌ على مالهِ) كنوا به عن البخيلِ الذي يجمعُ ماله، ولا ينتفعُ به، ومنها قولهم : (هو فتيً رياضيّ) يكنونَ عن القوَّة – وهلمَّ جرّا ، وكقوله تعالى:((**وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ**))[القمر/١٣] كناية عن السفينةِ، والدسر المسامير.

٣ـكنايةٌ عن نسبةٍ:

الكنايةُ التي يراد بها نسبةُ أمرٍ لآخرَ، إثباتاً أو نفياً فيكون المكنَّى عنه نسبةً، أسنِدتْ إلى ماله اتصالٌ به – نحو قولنا عن شخص: (العزُّ في بيتهِ) فإن العزَّ ينسبُ للشخصِ وليس للبيت.

فالقسمُ الأولُ- وهو الكنايةُ التي يطلب بها صفةً: هي ما كان المكنَّى عنه فيها صفةً ملازمةً لموصوفٍ مذكور في الكلام. وهي نوعان:

أ ـ **كنايةٌ قريبةٌ**: وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوبِ بغير واسطة بين المعنى المنتقَل عنه، والمعنى المنتقَل إليه، كقول الخنساء في رثاء صخر:

طَوِيلُ النِّجادِ، رَفِيعُ العِما ... دِ سادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا

ب ـ **وكنايةٌ بعيدةٌ**: وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطةٍ، أو بوسائطَ، نحو: فلانٌ كثيرُ الرمادِ كنايةٌ عن المضياف، و الوسائطُ: هي الانتقالُ من كثرة الرمادِ إلى كثرة الإحراقِ، ومنها إلى كثرةِ الطبخِ والخبزِ، ومنها إلى كثرةِ الضيوفِ، ومنها إلى المطلوب وهو المِضيافُ الكريمُ.

القسم الثاني- الكنايةُ التي يكون المكنَّى عنه موصوفاً بحيث يكونُ إمَّا معنى واحداً كموطنِ الأسرارِ كنايةٌ عن القلبِ، و كما في قول الشاعر:

فلما شَربناها ودَبَّ دبيبُها ... إلى مَوْضعِ الأسْرارِ قلتُ لها قفي

وإما مجموعُ معانٍ: كقولكَ: جاءني حيٌّ مستوي القامةِ، عريضُ الأظفارِ ، كنايةٌ عن الإنسانِ لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثةِ به، ومنه قول الشاعر كنايةً عن القلبِ:

الضَّاربينَ بكلِّ أبيضَ مخذَمٍ ...والطاعنينَ مجامعَ الأضغانِ

ويشترط في هذه الكنايةِ: أن تكون الصفةُ أو الصفاتُ مختصةً بالموصوف، ولا تتعداهُ ليحصل الانتقالُ منها إليه.

القسم الثالثُ- الكنايةُ التي يرادُ بها نسبةَ أمرٍ لآخر، إثباتاً أو نفياً فيكون المكنَّى عنه نسبةً، أسندتْ إلى ماله اتصالٌ به، نحو قول الشاعر:

إنَّ السماحةَ والمروءةَ والنَّدى في قبةٍ ضُربتْ على ابن الحشرجِ

فإنّ جعلَ هذه الأشياءَ الثلاثةِ في مكانه المختصِّ به يستلزمُ إثباتهُا له .

والكنايةُ المطلوبُ به نسبةٌ نوعانِ:

أ - إمَّا أن يكون ذو النسبة مذكوراً فيها، كقول الشاعر:

الُيمْنُ يتبعُ ظلَّهُ والمجدُ يمشي في ركابه

ب - وإمَّا أن يكونَ ذو النسبة غيرَ مذكور فيها: كقولكَ: خيرُ الناس منْ ينفعُ الناسَ، كناية عن نفي الخيرية عمن لا ينفعُهم. وكقوله -ﷺ-: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِى».

وتقسمُ الكنايةِ أيضاً باعتبار الوسائط (اللوازمِ) والسياقِ: إلى أربعةِ أقسامٍ: تعريضٌ وتلويحٌ، ورمزٌ، وإيماءُ.

١ - **فالتعريضُ: لغةً** خلافُ التصريح.

واصطلاحاً: هو أن يطلقَ الكلامُ، ويُشارَ به إلى معنى آخرَ يفهَمُ من السياق نحو: قولك للمؤذي : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ .. »، تعريضاً بنفي صفة الإسلامِ عن المؤذي، وكقول المتنبي:

إذا الجُودُ لم يُرْزَقْ خَلاصاً من الأذَى فَلا الحَمدُ مكسوباً وَلا المالُ باقِيَا

٢ - **التلويحُ: لغةً**: أنْ تشيرَ إلى غيركَ من بُعد. **واصطلاحاً**: هو الذي كثرتْ وسائطُه بلا تعريضٍ، نحو قول الشاعر:

وما يكُ فيَّ مِن عيبٍ فإنّي ... جَبَانُ الكلبِ مَهْزولُ الفصيلِ

كنَّى عن كرم الممدوحِ بكونه جبانَ الكلب، مهزولَ الفصيلِ، فإنَّ الفكرَ ينتقلُ إلى جملة وسائط.

٣ - **الرمزُ: لغةً**: أنْ تشيرَ إلى قريبٍ منكَ خِفيةً، بنحو: شفةٍ، أو حاجبٍ.

واصطلاحاً: هو الذي قلَّتْ وسائطُه، مع خفاءٍ في اللزوم بلا تعريضٍ، نحو : فلانٌ عريضُ القفا، أو عريضُ الوسادةِ ، كنايةٌ عن بلادتهِ وبلاهتهِ، ونحو: هو مُكتنزُ اللحمِ، كنايةٌ عن شجاعتِه، ومتناسبُ الأعضاءِ كنايةٌ عن ذكائهِ ،ونحو: غليظُ الكبدِ كنايةٌ عن القسوةِ وهلمَّ جرًّا.

٤ -**الإيماءُ أو الإشارةُ**: هو الذي قلَّتْ وسائطُه، مع وضوحِ اللزوم، بلا تعريضٍ، كقول الشاعر:

أَو ما رَأيتَ المجدَ ألقَى رحلَهُ في آلِ طلحةَ ثمَّ لم يَتحوَّلِ

كنايةٌ عن كونهم: أمجاداً أجواداً، بغايةِ الوضوح.

و من لطيف ذلك قولُ بعض الشعراء:

سألتُ الندَى والجُودَ ما لي أراكُما تبدَّلتُما ذلاً بعزٍّ مؤبدِ

وما بالُ رُكنِ المجدِ أمسَى مهدَّماً فقالا أُصبنَا بابن يحيى محمَّدِ

فقلتُ: فهلا متُّما عندَ موتِهِ فقدْ كنتما عبدَيهِ في كلِّ مَشْهدِ

فقالا: أقمنَا كي نُعزَّى بفقدِه مسافةَ يومٍ ثمَّ نتلوهُ في غدِ

ومثله قول دعبل:

سألتُ النَّدى - لا عدمتُ النَّدى وقد كانَ منَّا زماناً عزبْ

فقلتُ لهُ: طالَ عهدُ اللِّقا فهلْ غِبتَ باللهِ، أمْ لَمْ تَغِبْ

فقالَ: بَلَى . لَمْ أَزَلْ غائباً ولكنْ قدِمْتُ مَعَ المطَّلِبْ

ومثله قول الشاعر:

سألتُ الندى: هل أنت حرٌّ؟؛ فقال: لا ... ولكنني عبدٌ ليحيى بن خالدِ

فقلتُ شراءً؟؛ قال: لا، بل وراثةً ... توارثني عن والدٍ بعدَ والدِ

ومثله قول الشاعر:

سألتُ الندى والجودَ حرانِ أنتما؟ ... فقالا بلى عبدانِ بينَ عبيدِ

فقلتُ :ومنْ مولاكُما فتطاولا عليَّ وقالا :خالدَ بنَ يزيدِ

والكنايةُ من ألطف أساليبِ البلاغة وأدقِّها، وهي أبلغُ من الحقيقةِ والتصريحِ، لأنَّ الانتقالَ فيها يكون من الملزوم إلى اللازمِ فهو كالدعوَى ببينةٍ، فكأنكَ تقولُ في زيدٍ كثيرِ الرمادِ زيدٌ كريمٌ، لأنهُ كثيرُ الرمادِ ، وكثرتُه تستلزمُ كذا الخ، كيف لا وأنها تمكِّنُ الإنسانَ من التعبيرِ عن أمور كثيرةٍ، يتحاشَى الإفصاحُ بذكرها، إمَّا احتراماً للمخاطَبِ أو للإبهامِ على السامعينَ، أو للنيلِ من خصمهِ، دونَ أنْ يدعَ له سبيلاً عليه، أو لتنزيهِ الأذنِ عمَّا تنبو عن سماعِه ونحو ذلك من الأغراضِ واللطائفِ البلاغيةِ.

==========

خاتمةٌ – في بلاغة الكناية

الكنايةُ مَظهرٌ من مظاهر البلاغةِ، وغايةٌ لا يصل إليها إلا من لطف طبعُه، وصفتْ قريحتُه، والسرُّ في بلاغتها أنها في صور كثيرةٍ تعطيك الحقيقةَ، مصحوبةً بدليلها، والقضيةَ وفي طيّها برْهانها، كقول البحتري في المديح:

يغضُّونَ فضلَ اللحظِ من حيثُ ما بدا لهمْ عن مهيبٍ في الصدورِ محببُ

فإنه كنَّى عن إكبار الناس للممدوحِ، وهيبتِهم إياه، بغضِّ الأبصارِ الذي هو في الحقيقة برهانٌ على الهيبة والإجلالِ، وتظهرُ هذه الخاصةُ جليةً في الكناياتِ عن الصفةِ والنسبةِ.

ومن أسباب بلاغةِ الكنايات أنها تضعُ لكَ المعاني في صورة المحسوساتِ، ولا شكَّ أنَ هذه خاصةُ الفنون، فإنَّ المصورَ إذا رسم لك صورةً للأملِ أو لليأسِ، بهرَكَ وجعلكَ ترى ما كنتَ تعجزُ عن التعبير عنه واضحاً ملموساً، فمثلُ كثيرِ الرمادِ في الكناية عن الكرمِ ،ورسولُ الشرِّ، في الكنايةِ عن المزاحِ.

وقول البحتريّ:

أو ما رأيتَ المجْدَ ألقى رحلَهُ في آل طلحةَ ثمَّ لمْ يتحوَّلِ

وذلك في الكنايةِ عن نسبةِ الشرف إلى آل طلحةَ.

كلُّ أولئك يبرز لك المعاني في صورةٍ تشاهدُ، وترتاحُ نفسُك إليها.

ومن خواصِّ الكنايةِ: أنها تمكنُك منْ أنْ تَشْفيَ غلَّتَك منْ خصمِك منْ غيرِ أنْ تجعلَ له إليك سبيلاً، ودون أنْ تخدشَ وجهَ الأدب، وهذا النوعُ يسمَّى بالتعريضِ ،ومثالُه قولُ المتنبي في قصيدة، يمدحُ بها كافوراً ويعرضُ بسيفِ الدولة:

فِراقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيرُ مُذَمَّمِ وَأَمٌّ وَمَنْ يَمّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ

وَمَا مَنزِلُ اللّذّاتِ عِندي بمَنْزِلٍ إذا لم أُبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ

سَجِيّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُليحَةً منَ الضّيمِ مَرْمِيّاً بها كلّ مَخْرِمِ

رَحَلْتُ فكَمْ باكٍ بأجْفانِ شَادِنٍ عَلَيّ وَكَمْ بَاكٍ بأجْفانِ ضَيْغَمِ

وَمَا رَبّةُ القُرْطِ المَليحِ مَكانُهُ بأجزَعَ مِنْ رَبّ الحُسَامِ المُصَمِّمِ

فَلَوْ كانَ ما بي مِنْ حَبيبٍ مُقَنَّعٍ عَذَرْتُ وَلكنْ من حَبيبٍ مُعَمَّمِ

رَمَى وَاتّقى رَميي وَمن دونِ ما اتّقى هوًى كاسرٌ كفّي وقوْسي وَأسهُمي

إذا ساءَ فِعْلُ المرْءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعتَادُهُ من تَوَهُّمِ

فإنه كنَّى عن سيف الدولة، أولا: بالحبيبِ المعمم، ثم وصفه بالغدرِ الذي يدعي أنه من شيمةِ النساءِ، ثم لامه على مبادهته بالعدوانِ، ثم رماه بالجبنِ لأنه يرمي ويتقي الرمي بالاستتارِ خلف غيره، على أنَّ المتنبي لا يجازيه على الشرّ بمثله، لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوًى قديماً، يكسرُ كفه وقوسه، وأسهمه، إذا حاول النضالّ، ثم وصفه بأنه سيءُ الظنّ بأصدقائهِ لأنه سيءُ الفعل، كثيرُ الأوهام والظنون، حتى ليظنَّ أنَّ الناس جميعاً مثلَه في سوءِ الفعل، وضعفِ الوفاء، فانظر كيف نالَ المتنبي من هذا، ومن أوضح مميزات الكنايةِ التعبيرُ عن القبيح بما تسيغُ الآذانَ سماعُه، وأمثلة ذلك كثيرة جداً في القرآن الكريم، وكلام العربِ فقد كانوا لا يعبرون عما لا يحسن ذكره إلا بالكنايةِ، وكانوا لشدة نخوتهِم يكنونَ عن المرأة بالبيضةِ والشاةِ.

ومن بدائع الكنايات قولُ بعض العرب:

أَلاَ يا نَخْلةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ ... عَلَيْك وَرَحْمَةُ اللهِ السّلامُ

فإنه كنَّى بالنخلةِ، عن المرأة التي يحبُّها.

==========

الفصلُ الخامسُ - أثرُ علمِ البيان في تأديةِ المعاني

ظهرَ لك من دراسة علمِ البيان: أنَّ معنًى واحداً يستطاع أداؤه بأساليبَ عديدة، وطرائق مختلفةٍ، وأنه قد يوضع في صورة رائعةٍ من صور التشبيه أو الاستعارة، أو المجاز المرسل، أو المجاز العقليّ، أو الكناية، فقد يصف الشاعر إنساناً بالكرم، فيقول:

يريدُ الملوكُ مَدى جَعفَر ... ولا يَصنعون كما يَصنعُ

وكيفَ ينالون غاياتِه ... وهم يَجمعون ولا يَجمعُ

وليسَ بأوسعِهم في الغِنى ... ولكن مَعْروفه أوسع

فما خَلْفَه لامرىءٍ مطلبٌ ... ولا لامرىء دونَه مَطمعُ

بَدِيهَتُهُ مثلُ تدبيرِه ... ..إذا أجبتَه فهو مُستجمِعُ

و هذا كلامٌ بليغٌ جدًّا، مع أنه لم يقصد فيه إلى تشبيه أو مجاز، وقد وصف الشاعرُ فيه ممدوحهَ بالكرم، وأنَّ الملوكَ يريدون أن يبلغوا منزلته، ولكنهم لا يشترونَ الحمد بالمال كما يفعلُ، مع أنه ليس بأغنَى منهم، ولا بأكثرَ مالاً.

وقد يعتمدُ الشاعر عند الوصف بالكرمِ إلى أسلوبٍ آخر، فيقولُ المتنبي:

كالبَحْرِ يَقذِفُ للقَريبِ جَواهِراً جُوداً ويَبْعَثُ للبَعيدِ سَحائِبَا

كالشّمسِ في كَبِدِ السّماءِ وضَوْؤها يَغْشَى البِلادَ مَشارِقاً ومَغارِبَا

فيشبّهُ الممدوحَ: بالبحر، ويدفعُ بخيالكَ إلى أن يضاهيَ بين الممدوحِ والبحرِ الذي يقذفُ الدرر للقريبِ، ويرسلُ السحائبَ للبعيد، وكذلك يشبهه بالشمس في كبد السماء وضوؤها يملأ مشارق البلاد ومغاربها وهو يريدُ عمومَ نفعهِ للبعيدِ والقريبِ .

أو قول أبي تمام في المعتصم بالله:

هو البحرُ منْ أيِّ النواحي أتيتَهُ فلجتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلهُ

فيدَّعي أنه البحرُ نفسه، وينكرُ التشبيهَ نكراناً يدلَّ على المبالغةٍ، وادعاءِ المماثلة الكاملة.

أو يقول:

علا فلا يستقرُّ المالُ في يده وكيفُ تمسكُ ماءً قنةُ الجبلِ

فيرسلُ إليكَ التشبيه: من طريقٍ خفيٍّ، ليرتفعَ الكلامُ إلى مرتبةِ أعلى في البلاغة وليجعلَ لك من التشبيهِ الضمنيّ دليلاً على دعواهُ، فإنه ادَّعى: أنه لعلوّ منزلته ينحدرُ المالُ من يديه، وأقام على ذلك برهاناً.فقال :وكيف تمسكُ ماءً قُنَةُ الجبلِ

أو يقول:

جرَى النهْرُ حتى خلتَه منكَ أنعُماً تساقُ بلا ضنٍّ وتعطَي بلا منِّ

فيقلبُ التشبيه زيادةً في المبالغةٍ، وافتناناً في أساليب الإجادة.

ويشبِّه ماءَ النهر بنعم الممدوح، بعد أنْ كان المألوفُ، أن تشبَّه النعم، بالنهر الفياضِ

أو يقول:

كأنَّه حينَ يعطي المالَ مبتسماً صوْبُ الغمامةِ تهمي وهْيَ تأتلقُ

فيعمد إلى التشبيهِ المركَّب، ويعطيكَ صورةً رائعةً، تمثِّلُ لك حالةَ الممدوح وهو يجود، وابتسامةُ السرور تعلو شفتيه، أو يقول:

جادَتْ يَدُ الفَتْحِ، والأنْوَاءُ باخِلَةٌ وَذَابَ نائِلُهُ، والغَيْثُ قد جَمَدَا

فيضاهي بين جودِ الممدوحِ والمطر، ويدَّعي أنَّ كرم ممدوحه لا ينقطعُ، إذا انقطعتِ الأنواء، أو جمدَ المطرُ.

أو بقولِ البحتريّ:

قَدْ قُلتُ للغَيمِ الرُّكَامِ، وَلَجّ في إبْرَاقِهِ، وألَحّ في إرْعَادِهِ

لا تَعْرِضَنّ لِجَعْفَرٍ، مُتَشَبّهاً بَنَدَى يَدَيهِ، فَلستَ مِنْ أنْدَادِهِ

فيصرحُ لك في جلاءٍ، وفي غير خشيةٍ بتفضيل جودِ صاحبه على جود الغيم، ولا يكتفي بهذا، بل تراهُ يَنْهى السَّحابَ في صورة تهديدٍ أن يُحاولَ التشبهَ بممدوحه؛ لأنه ليس من أمثالهِ ونظائرهِ، أو بقول المتنبي:

وَأقْبَلَ يَمشِي في البِساطِ فَما درَى إلى البَحرِ يَسعى أمْ إلى البَدْرِ يرْتَقي

يصف حال رسول الروم داخلا على سيف الدولة، فَيَنْزَعُ في وصف الممدوح بالكرم، إلى الاستعارة التصريحية، والاستعارةُ - كما علمتَ - مبنيةٌ على تناسي التشبيهِ، والمبالغةُ فيها أعظمُ، وأثرهُا في النفوس أبلغُ.

أو يقولُ:

دَعوتُ نَدَاهُ دعوةً فأجابَنِي وعَلَّمنِي إحسانُهُ كَيْفَ آمُلهْ

فيُشَبَّهُ نَدى ممدوحهِ وإحسانهِ بإنسانٍ ،ثم يحذف المشبَّه بـه، ويرمزُ إليـه بشـيءٍ من لوازمهِ، وهذا ضربٌ آخر من ضروبِ المبالغةِ التي تساق الاستعارةُ لأجلها.

أو بقول المتنبي:

قَوَاصِدُ كافورٍ نَوَارِكُ غَيْرِهِ ... وَمَنْ قَصَدَ البَحْرَ اسْتَقَلَّ السوَاقِيا

فيرسلُ العبـارةَ كأنَّهـا مَثَلٌ، ويصوّر لـك أنَّ من قصـد ممدوحَـه استغنى عمَّنْ هو دونـه، كمـا أنَّ قاصـدَ البحـرِ لا يأبـهُ للجداول، فيعطيك استعارة تمثيليـةً، لهـا روعـةٌ، وفيهـا جمـالٌ، وهـي فـوق ذلك تحملُ برهانـاً علـى صـدق دعـواهُ، وتؤيّدُ الحـال الـذي يَدَّعيها.

أو يقول المتنبيّ:

ما زِلْتَ تُتْبِعُ ما تُولي يَداً بيَدٍ حتى ظَنَنْتُ حَياتي مِنْ أياديكَا

فيعدل عن التشبيه والاستعارة، إلـى المجـاز المرسـلِ ويطلـق كلمـةَ يدٍ ويريـدُ بهـا النعمةَ؛ لأن اليدَ آلةُ النعم وسببها.

أو يقول:

أعَادَ يَوْمُكَ أيامِي لِنَضْرَتِهَا واقْتَصَّ جودُك مِنْ فَقرِي وإعْسَاري

فيسندُ الفعلَ إلى اليوم، وإلى الجودِ، على طريقة المجاز العقليّ.

أو يقول أبو النواس:

فما جازَهُ جُودُ ، ولا حَلّ دونَه ولكنْ يصيرُ الجودُ حيثُ يصيرُ

فيأتي بكنايةٍ عن نسبةِ الكرم إليه، بادِّعـاء أنَّ الجودَ يسيرُ معـه دائمـاً؛ لأنـه بَدَل أن يحكم بأنه كريمٌ، ادّعى أنَّ الكرم يسيرُ معه أينما سارَ.

ولهذه الكنايةُ من البلاغةِ، والتأثيرِ في النفس، وحسنِ تصويرِ المعنى، فوق مـا يجدُه السَّامعُ في غيرها من بعض ضروبِ الكلام.

فأنتَ ترى أنه من المستطاعِ التعبيرُ عن وصف إنسانٍ بـالكرمِ بأربعـةَ عشرَ أسلوباً كلٌّ: لـه جمالـهُ، وحُسْنهُ، وبَراعتُـه، ولـو نشـاءُ لأتينـا بأسـاليبَ كثيـرةٍ أخـرى فـي هـذا

المعنى؛ فإنَّ للشعراءِ ورجالِ الأدبِ افتناناً وتوليداً للأساليب والمعاني، لا يكاد ينتهي إلى حدٍّ، ولو أردنا لأوردنا لك ما يقالُ من الأساليب المختلفة المَنَاحِي في صفات أخرى، كالشجاعة، والإباء، والحزم وغيرها، ولكنَّا لم نَقْصِد إلى الإطالة، ونعتقد أنك عند قراءتك الشعر العربيّ والآثار الأدبية، ستجد بنفسك هذا ظاهراً وسَتَدْهَش للمَدَى البعيدِ الذي وصل إليه العقل الإنساني في التصوير البلاغيّ، والإبداع في صوغ الأساليب

==========

علم البديع

الفصل الأول – مقدمة موجزة حول علم البديع

*- **البديعُ: لغةً**: الُمخْتَرعُ المُوجَدُ على غير مِثَال سابق.

وهو مأخوذ ومُشْتَقٌّ من قولهم: بَدَع الشيء وأبْدَعه، اخترعَه لا عَلَى مِثال .

و **اصطلاحاً**: هو علمٌ يُعْرفُ به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسْناً وطلاوةً، وتكسوه بهاءً ورونقاً، بعدَ مُطابقته لمقتضى الحال.

مع وُضوح دلالته على المراد لفظاً ومعنى.

وواضعه **عبد اللهُ بنُ المعتز** العبَّاسي المتوفى سنة ٢٧٤ هجرية.

ثم اقتفى أثره في عصره **قُدَامةُ بن جعفر** الكاتب فزاد عليها.

ثم ألّف فيه كثيرونَ **كأبي هلال العَسْكرِي وابن رشيق القِيرَوَاني، وصفِيّ الدين الحِلّي، وابن حِجَّة الحموي**، وغيرهم ممَّن زَادُوا في أنواعه، ونظموا فيها قصائد تُعرف (**بالبديعيَّات**). وفي هذا العلم بابان: وخاتمة.

***- أثرُ علم البديع في الكلام:**

لا يتعدَّى تزيين الألفاظ أو المعاني بألوانٍ بديعةٍ من الجمال اللفظي أو المعنوي.

الفصل الثاني - في المحسّناتِ المعنوية

المبحثُ الأول- الطباقُ

*- **تعريفُـه**: هـو الجمـعُ بـين لفظـين متقـابلينِ فـي المعنـى، وهـو نوعـانِ: حقيقـيٌّ واعتباريٌّ

فالتقابل الحقيقيُّ هو أنواعٌ :

تقابلُ تضادٍ ،نحو قوله تعالى:((**وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى**))[سورة النجم/٤٣].

تقابلُ إيجابٍ وسلبٍ، نحو قولـه تعـالى:((**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**)) [سورة الزمر/٩].

تقابـلُ عـدمٍ وملكـةٍ ، كقولـه تعـالى : {**وَمَـا يَسْـتَوِي الْأَعْمَـى وَالْبَصِـيرُ**))[سـورة فاطر/١٩].

تقابلُ تضايفٍ كقولك :(أبو الحسنِ صفيُّ رسولِ الله ﷺ وابنُهُ حبيبُه).

والثاني – تقابلاً اعتبارياً ،كقوله تعالى:((**وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا**))[سورة النجم/٤٤].

*- صورُ الطِّباقِ:

يكونُ الطباقُ بين :

اسمينِ – نحو قولـه تعـالى:((**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّـاهِرُ وَالْبَـاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَـيْءٍ عَلِـيمٌ**))[سـورة/٣ الحديـد]، وكقولـه تعـالى:((وَتَحْسَـبُهُمْ أَيْقَاظًـا وَهُـمْ رُقُـودٌ))[سـورة الكهف/١٨].

فعلينِ – نحو قوله تعالى:((**وَأَنَّـهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَـى**))[سورة النجم/٤٣] ، وكقولـه تعالى:((**ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى**))[سورة الأعلى/١٣].

حرفينِ – نحو قوله تعالى:((**وَلَـهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِـالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَـالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَـةٌ**))[سورة البقرة/٢٢٨]، وقولـه تعـالى:((**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًـا إِلاَّ وُسْـعَهَا لَـهَـا مَـا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**))[سورة البقرة/٢٨٦].

لفظـينِ مـنْ نـوعينِ مختلفـينِ – نحـو قولـه تعـالى:((**وَمَـن يُضْـلِلِ اللّهُ فَمَـا لَـهُ مِـنْ هَـادٍ**))[سـورة الزمـر/٣٦] ، بـين فعـل واسـم، وكقولـه تعـالى:((**أَوَ مَـن كَـانَ مَيْتًـا فَأَحْيَيْنَـاهُ**))[سورة الأنعام/١٢٢]، بين اسم وفعل.

*-أقسامُ الطباقِ:

ينقسمُ إلى قسمينِ طباقُ إيجابٍ وطباقُ سلبِ :

طباقُ الإيجاب: هو ما لم يختلفْ فيه الضّدانِ إيجاباً وسلباً ، نحو قوله تعالى:((**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**))[سورة آل عمران/٢٦] ، وكقوله تعالى:((**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**))[سورة الكهف/١٨] ، ففيهما تطابقٌ إيجابيٌّ بين هذه المذكوراتِ.

طباقُ السَّلبِ: هو ما اختلف فيه الضدانِ إيجاباً وسلباً، بحيثُ يجمعُ بين فعلينِ من مصدرٍ واحدٍ ، أحدهُما مثبتٌ مرةً، والآخرُ منفيٌّ تارةً أخرى، في كلامٍ واحدٍ ، نحو قوله تعالى: ((**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ**))[سورة النساء/١٠٨] ، ونحو قوله تعالى:((**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**)) [سورة الروم/٧] ، ونحو قوله تعالى:((**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**))[سورة الزمر/٩].

- أو أحدهُما أمرٌ، والآخرُ نهيٌ، نحو قوله تعالى:((**اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**))[سورة الأعراف/٣]، ونحو قوله تعالى:((**فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**))[سورة المائدة/٤٤].

ويلحقُ بالطباقِ شيئانِ :

أحدهما - نحو قوله تعالى:((**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**))[سورة الفتح/٢٩]، فإن الرحمة سببيةٌ عن اللينِ، الذي هو ضدُّ الشدةِ.

والثاني – ما يسمَّى إيهامَ التضادِّ ،وهو أن يجمعَ بين معنيينِ غيرَ متقابلينِ عبَّر عنهما بلفظينِ يتقابلُ معناهُما الحقيقيانِ، نحو قول دعبل:

لا تعجَبي يا سَلْمُ من رجلٍ ... ضحِكَ المشيبُ برأسِه فبكى

والشاهدُ أنَّ المرادَ بالضحكِ في البيت لا يضادُّ البكاءَ ، ولكنَّ معنييهما الحقيقينِ متضادانِ .

==========

****

المبحثُ الثاني - المقابلةَ

*- **تعريفها:** لغةً المواجهةُ، **واصطلاحاً :** هي أن يؤتَى بمعنيين متوافقينِ أو معانٍ متوافقةٍ، ثم يؤتَى بما يقابلُ ذلك على الترتيبِ، أو مجموعةُ كلماتٍ ضدَّ مجموعةِ كلماتٍ في المعنى على التوالي .

*- صورهُا خمسةٌ :

مقابلةُ معنيينِ بمعنيينِ ، كقوله تعالى:((**فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**))[سورة التوبة/٨٢].

مقابلة ثلاثةٍ بثلاثةٍ ، نحو قوله تعالى:((**يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ**))[سورة الأعراف/١٥٧].

مقابلةُ أربعةٍ بأربعةٍ ، كقوله تعالى:((**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**))[الليل/٥-١٠] .

وكقولِ الشاعر أبي تمام:

يَا أمَّةً كانَ قُبْحُ الجوْر يُسْخِطُها... ...دهْرًا فأصْبَحَ حُسْنُ العَدْل يُرْضِيها

مقابلةُ خمسةٍ بخمسةٍ ، قال المتنبّي:

أزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللّيْلِ يَشفَعُ لي وَأنثَني وَبَيَاضُ الصّبحِ يُغري بي

مقابلةُ ستةٍ بستةٍ، قال عنترةُ العبسيُّ:

على رأسِ عبدٍ تاجُ عِزٍّ يزينهُ ... وفي رِجْلِ حرّ قيدُ ذُلٍّ يَشينهُ

---

*-الفرقُ بينَ المقابلةِ والطباقِ :

-الطباقُ: حصولُ التوافقِ بعد التنافي، كالجمع بينَ أضحكَ وأبكَى بعد تنافيهما في قوله تعالى:((**وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى**))[سورة النجم/٤٣].

-المقابلةُ :حصولُ التنافي بعد التوافقِ، كالجمع بين الضحكِ والقِلَّة ، ثم إحداثُ التنافي حيثُ تقابلَ الأولُ بالأولِ والثاني بالثاني في قوله تعالى:((فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا))[سورة التوبة/٨٢].

.....

المبحثُ الثالث- التوريةُ

*- **تعريفُها:** لغةً – مصدرٌ، ورّيتُ الخبرَ توريةً: إذا سترتُه، وأظهرتُ غيره .

واصطلاحاً: هي أن يذكُرَ المتكلمُ لفظاً مفرداً له معنيان؛ أحدهُما قريبٌ غيرُ مقصودٍ ودلالـةُ اللفظِ عليه ظاهرةٌ، والآخرُ بعيدٌ مقصودٌ، ودلالـةُ اللفظِ عليه خَفِيَّةٌ، فيتوهَّمُ السَّامعُ: أنه يُريدُ المعنَى القريبَ، وهو إنَّما يُريدُ المعنى البعيدَ بقرينةٍ تشيرُ إليه ولا تُظهرُه، وتسترُه عن غير المتيقظِ الفطِنِ،كقوله تعالى:((**وَهُوَ الذي يَتَوَفَّاكُم بالليْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بالنَّهَارِ**))[سورة الأنعام/٦٠]، أراد بقوله جرحتم معناهُ البعيدُ، وهو ارتكابُ الذنوبِ، ولأجلِ هذا سُمِّيتِ التَّوريةُ إيهاماً وتخييلا

وكقول سراج الدين الوراق:

أصُونُ أديمَ وجهي عَن أُنَاس ... ...لقاءُ الموتِ عِنْدهُم الأديبُ

وَرَبُّ الشِّعرِ عندهُمُ بَغِيضٌ ... ...وَلَوْ وَافَى بهِ لَهُمُ "حبَيبُ"

*- وهي تنقسمُ إلى قسمينِ :

(١)- مجردةٌ: وهي التي لم تقترنْ بما يلائمُ المعنيين: كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته: فقال «هذه أختي» - أراد أخوةَ الدِّينِ، وكقوله تعالى:((وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ))[الأنعام/٦٠] يريدُ بجرحتم المعاصي.

(٢) - مرشَّحةٌ: وهي التي اقترنتْ بما يلائمُ المعنى القريبَ، وسميتْ بذلك لتقويتِها به، لأنَّ القريبَ غيرُ مراد، فكأنهُ ضعيفٌ، فإذا ذكر لازمُه تقوَّى به، نحو قوله تعالى:((**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**))[سورة الذاريات/٤٧]، فإنه يحتمل (الجارحةَ) وهو القريبُ، وقد ذكر من لوازمه البنيانُ على وجهِ الترشيحِ ، ويحتمل (القدرةَ) وهو البعيدُ المقصودُ.

وقال ابن نباتة :

أقولُ وقد شنوّا إلى الحربِ غارةً دعوني فإني آكلُ العيشَ بالجبْنِ

الشاهدُ فيه : العيشُ والجبنُ ، فالعيشُ يعني الخبز ويعني الحياة ، والجبنُ يعني المصنوع من اللبن ، ويعني الخوَرُ عكسُ الشجاعةِ .

أو كقول بعضهم:

فإنْ ضيعتُ فيه جميعَ مالي فكمْ منْ لحيةٍ حُلقتْ بموسَى

فيه التورية المرشحة، بذكر اللحية والحلق، وهما يناسبانِ المورَّى به وهو «موسى الحديدِ» والمورَّى عنه الاسمُ المذكورُ.

ويقول الشاعر :

حماة في بهجتها جَنةٌ وهيَ منَ الغمِّ لنا جُنّه

لا تيأسوا من رحمةِ اللهِ فقد رأيتمُ العاصيَ في الجنَّه

في هذا الكلام تورية مرشحة، فإنَّ ذكر الرحمة ترشيحٌ للفظِ العاصي المورَّى به الذي هو من العصيانِ، والمورَّى عنه النهرُ المعروف الذي عبر حماه.

المبحثُ الرابع- حُسْنُ التعليلِ

*- تعريفُه : هو أن ينكرَ الأديبُ صراحةً، أو ضمناً، علةَ الشيءِ المعروفةِ، ويأتي بعلةٍ أخرى أدبيةٍ طريفةٍ، لها اعتبارٌ لطيفٌ، ومشتملةٌ على دقةِ النظرِ، بحيثُ تناسبُ الغرضَ الذي يرمي إليه، يعني أنَّ الأديبَ: يدّعي لوصفٍ علّةً مناسبةً غيرَ حقيقيةٍ، ولكنَّ فيها حسناً وطرافةً، فيزداد بها المعنى المرادُ الذي يرمي إليه جمالاً وشرفاً ،كقول المعري في الرثاء:

وما كلْفةُ البَدْر المُنير قديمةً ولكنها في وجْههِ أثرُ اللَّطم

يقصدُ: أنَّ الحزنَ على (المرثي) شملَ كثيراً من مظاهر الكون، فهو لذلك: يدَّعي أنَّ كُلفة البدر (وهي ما يظهر على وجهه من كُدرة) ليستْ ناشئةً عن سبب طبيعيٍّ، وإنما هي حادثةٌ من (أثر اللطم على فراقِ المرثي) .

ومثله قول الشاعر الآخر:

أَما ذُكاءُ فَلَمْ تَصْفَرَّ إذْ جَنَحَتْ ... ...إلا لِفُرْقَةِ ذَاكَ الْمَنْظَر الْحَسَن

يقصدُ: أنَّ الشمسَ لم تصفرَّ عند الجنوحِ إلى المغيب للسببِ المعروفِ ولكنها (اصفرتْ مخافةَ أنْ تفارقَ وجهَ الممدوحِ) .

ومثله قول الشاعر الآخر:

ما قصرَ الغَيْثُ عن مصرٍ وتَرْبتها ... طبعاً ولكنْ تعدَّاكم من الخَجَلِ

ولا جَرَى النِّيلُ إلاَّ وهو معترفٌ ... بسبقكمْ فلذَا يَجْري على مَهْلِ

ينكرُ هذا الشاعرُ: الأسبابَ الطبيعيةَ لقلةِ المطر بمصر، ويلتمسُ لذلك سبباً آخر: وهو (أنَّ المطرَ يخجلُ أنْ ينزلَ بأرضٍ يعمُّها فضلُ الممدوحِ وجودُه) لأنهُ لا يستطيعُ مباراتهِ في الجودِ والعطاءِ.

ولا بدَّ في العلةِ أن تكون ادعائية، ثم إنَّ الوصفَ أعمُّ من أنْ يكونَ ثابتاً فيقصدُ بيانُ علته، أو غيرُ ثابتٍ فيرادُ إثباتُه.

وهذا الوصفُ الذي يدَّعَى له العلةَ واحدٌ من أمرين : ثابتٌ وغيرُ ثابتٍ

الأولُ- الثابتُ وهو نوعان :

(أ)- وصفٌ ثابتٌ غيرُ ظاهر العلَّة – كقول الشاعر:

بينَ السيوفِ وعينيها مشاركةٌ من أجلِها قيلَ للأجفانِ أجفانُ

وقول الشاعر:

زَعَمَ البنفسجُ أنه كعِذاره ... حُسناً فسلُّوا من قفاه لسانَهُ

فخروجُ ورقةِ البنفسجِ إلى الخلفِ لا علَّة له، لكنه ادَّعى أنَّ علَّته الافتراءُ على المحبوبِ.

(ب) - وصفٌ ثابتٌ ظاهرُ العلةِ، غيرُ التي تذكَرُ، كقول المتنبي:

ما بهِ قَتْلُ أعاديهِ ولكِنْ يَتّقي إخلافَ ما ترْجو الذّئابُ

فإنَّ قتلَ الملوكِ أعداءَهم في العادةِ لإرادةِ هلاكِهم وأنْ يدفعوا مضارَّهم عنْ أنفسِهم حتى يصفوَ لهم ملكهُم من منازعتِهم ، لا لما ادعاهُ من أنَّ طبيعةَ الكرمِ قدْ غلبتْ عليهِ، ومحبَّتُهُ أنْ يصدقَ رجاءَ الراجينِ بعثتَهُ على قتلِ أعدائهِ لما عُلم أنهُ لمَّا غدا للحربِ غدتِ الذئابُ تتوقعُ أنْ يتسِعَ عليها الرزقُ من قتلاهُم، وهذا مبالغةٌ في وصفهِ بالجودِ، ويتضمَّنُ المبالغةَ في وصفهِ بالشجاعةِ على وجهٍ تخييليٍّ أي تناهَى في الشجاعةِ حتى ظهرَ ذلكَ للحيواناتِ العُجم ،فإذا غدا للحربِ رجتِ الذئابُ أنْ تنالَ منْ لحومِ أعدائهِ ،وفيه نوعٌ آخرُ من المدحِ، وهو أنه ليسَ ممنْ يسرفُ في القتلِ طاعةً للغيظِ والحنقِ .

والثاني – وصفٌ غيرُ ثابتٍ، وهو نوعانِ :

(١)- إمَّا ممكنٌ ، كقول مسلم بن الوليد:

يا واشِياً حَسُنَتْ فينَا إِسَاءَتُهُ ... نَجَّى حِذَارُكَ إِنْسَانِى مِنَ الغَرَق

فاستحسانُ إساءة الواشي ممكنٌ، ولكنه لما خالفَ الناسَ فيه، عقبهُ بذكرِ سببه، وهو أنَّ حذاره منِ الواشي منعَه من البكاءِ، فسلمَ إنسانُ عينهِ من الغرقِ في الدموعِ. وما حصلَ ذلك فهو حسنٌ

(٢) وإما غير ممكن – كقول الخطيب القزويني:

لَوْ لَمْ تكنْ نِيَةُ الجَوْزاءِ خِدْمَتَهُ ... لَمَا رَأَيْتَ عليها عِقْدَ مُنْتَطِقِ

فقد ادّعى الشاعرُ: أنّ الجوزاءَ تريدُ خدمةَ الممدوحِ، وهذه صفةٌ غيرُ ممكنةٍ، ولكنه علّلها بعلةٍ طريفةٍ، ادَّعاها أيضاً ادّعاءً أدبياً مقبولاً ،إذ تصوَّر أنَّ النجومَ التي تحيطُ بالجوزاء، إنما هي نطاقٌ شدَّته حولَها على نحو ما يفعلُ الخدمُ، ليقوموا بخدمةِ الممدوحِ ----------